من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم (40) إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل (41) الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (42)

الزمر 42 - 40
عمل فسوف تعلمون التي أنتم عليها وجهتكم من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان إني عامل أي على مكانتي وحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأن حالته تزداد كل يوم قوة لأن الله تعالى ناصره ومعينه ألا ترى إلى قوله فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لأنهم إذا أتاهم الخزى والعذاب فذاك عزه وغلبته من حيث أن الغلبة تتم له بعز يعزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه ويخزيه صفة للعذاب كمقيم أى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار مكاناتكم أبو بكر وحماد إنا أنزلنا عليك الكتاب القرآن للناس لأجلهم ولأجل حاجتهم إليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم إلى اختيار الطاعة على المعصية بالحق فمن اهتدى فلنفسه فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما أنت عليهم بوكيل بحفيظ ثم أخبر بأنه الحفيظ القدير عليهم بقوله الله يتوفى الأنفس حين موتها الأنفس الجمل كما هي وتوفيها اماتتها وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة دراكة والتي لم تمت في منامها ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيها للقائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل فيمسك الأنفس التي قضى قضى حمزة وعلى عليها الموت الحقيقي أى لا يردها في وقتها حية ويرسل الأخرى النائمة إلى أجل مسمى إلى وقت ضربة لموتها وقيل يتوفى الأنفس أي يستوفيها ويقبضها وهي الأنفس التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز قالوا التي تتوفى في المنام هي نفس التمييز لا نفس

الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ولكل إنسان نفسا إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارق عند الموت والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس روح بينهما شعاع مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فاذا انام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وعن علي رضي الله عنه قال تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة وعنه ما رأت نفس النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة وما رأت بعد الإرسال فيلقنها الشيطان فهي كاذبة وعن سعيد بن جبير أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقي

أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون (43) قل لله الشفاعة جميعا له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون (44) وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون (45) قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون (46)

الزمر 46 - 42
فى المنام فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها وروى أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم فى السماء فمن كان منهم طاهرا أذن له فى السجود ومن لم يكن منهم طاهرا لم يؤذن له فيه إن فى ذلك إن فى توفى الأنفس مائتة ونائمة وإمساكها وإرسالها إلى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يتفكرون يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون أم أتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار من دون الله من دون إذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون معناه أيشفعون ولو كانوا لا يملكون شيئا قط ولا عقل لهم قل لله الشفاعة جميعا أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاء إلا بإذنه وانتصب جميعا على الحال له ملك السموات والأرض تقرير لقوله لله الشفاعة

جميعا لأنه إذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها ثم إليه ترجعون متصل بما يليه معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم إليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة وإذا ذكر الله وحده مدار المعنى على قوله وحده أى إذا أفرد الله بالذكر ولم تذكر معه آلهتهم اشمأزت أى نفرت وانقبضت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه يعنى آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر إذا هم يستبشرون لافتتانهم بها وإذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز إذ كل واحد منهما غاية فى بابه فالاستبشار أن يمتلىء قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلىء غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه والعامل فى إذا ذكر هو العامل فى إذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والأرض أى يا فاطر وليس بوصف كما يقوله المبرد والفراء عالم الغيب والشهادة السر والعلانية أنت تحكم تقضى بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من الهدى والضلالة وقيل هذه محاكمة من النبى للمشركين إلى الله وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعى عندها ألا أجيب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل

ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (47) وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون (48) فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون (49)

الزمر 49 - 47
الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وقالوا الآن يتكلم فما زاد أن قال آه أو قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على أثره قتل من كان صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه ولو أر للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه الهاء تعود إلى ما لافتدوا به منسوء العذاب شدته يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وظهر لهم من سخط الله وعذابه مالم يكن قط فى

حسبانهم ولا يحدثون به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فإذا هى سيئات وعن سفيان الثورى أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدوا لى من الله مالم أحتسبه وبدا لهم سيآت ما كسبوا أي سيآت أعمالهم التى كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك وحاق بهم ونزل بهم وأحاط ما كانوا به يستهزئون جزاء هزئهم فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه أى أعطيناه تفضلا يقال خولنى إذا أعطاك على غير جزاء نعمة منا ولا تقف عليه لأن جواب إذا قال إنما أوتيته على علم منى أنى سأعطاه لما فى من فضل واستحقاق أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى وإنما ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة نظرا إلى المعنى لأن قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها وقيل ما فى إنما موصولة لا كافة فيرجع الضمير إليها أى أن الذى أوتيته على علم بل هى فتنة انكار له كأنه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر ولما كان الخبر مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدا لأجله وقرىء بل هو فتنة على وفق إنما أوتيته ولكن أكثرهم لا يعلمون أنها فتنة والسبب فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو أن هذه وقعت مسببة عن قوله وإذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى أنهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز بذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض فان قلت حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه قلت ما فى الاعتراض من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بأمر من الله وقوله أنت تحكم بين عبادك ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يا رب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترؤون عليك مثل هذه الجراءة إلا أنت

قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (50) فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين (51) أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (52) قل يا عبادي

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم (53) وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون (54)

الزمر 54 - 50
وقوله ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم إن جعل عاما أو إياهم خاصة إن عنينهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به حكم عليهم بسوء العذاب وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هى إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو ونحو قام زيد وقعد عمرو وبيان وقوعها مسببة انك تقول زيد يؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ إليه فهذا تسبيب ظاهر ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ إليه فتجىء بالفاء مجيئك بها ثمة كأن الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان فى جعله سببا فى الالتجاء قد قالها هذه المقالة وهى قوله إنما أوتيته على علم الذين من قبلهم أى قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الأمم الخالية آخرون قائلون مثلها فماأغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا وما يجمعون منها فأصابهم سيآت ما كسبوا أى جزاء سيآت كسبهم أو سمى جزاء السيئة سيئة للازدواج كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا كفروا من هؤلاء أى من مشركى قومك سيصيبهم سيآت ما كسبوا أى سيصيبهم مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين وما هم بمعجزين بفائتين من عذاب الله ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ويضيق وقيل يجعله على قدر الفوت ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون بأنه لا قابض ولا باسط إلا الله عز وجل قل يا عبادى الذين وبسكون الياء بصرى وحمزة وعلى أسرفوا على أنفسهم جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها لا تقنطوا لا تيأسوا وبكسر النون على وبصرى من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا بالعفو عنها إلا الشرك وفى قراءة النبى عليه السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظير نفى المبالاة نفىالخوف فى قوله ولا يخاف عقباها قيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية انه هو الغفور

بستر عظائم الذنوب الرحيم بكشف فظائع الكروب وأنيبوا إلى ربكم وتوبوا إليه وأسلموا وأخلصوا له العمل من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون

واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون (55) أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين (56) أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (57) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين (58) بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (59)

الزمر 59 - 55
ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم أن تقول لئلا تقول نفس إنما نكرت لأن المرد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس اما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير يا حسرتى الألف بدل من ياء المتكلم وقرىء يا حسرتى على الأصل ويا حسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه على ما فرطت قصرت وما مصدرية مثلها فى بما رحبت فى جنب الله فى أمر الله أو فى طاعة الله أو فى ذاته وفى حرف عبد الله فى ذكر الله والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجانب والجنب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية لأنك إذا أثبت الأمر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ومنه الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل أى لأجله وقال الزجاج معناه فرط فى طريق الله وهو توحيده والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإن كنت لمن الساخرين المستهزئين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وإن كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى أو تقول لو أن الله هدانى أى أعطانى الهداية لكنت من المتقين من الذين يتقون

الشرك قال الشيخ الإمام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لاتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل أن عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعد ما مكن من تحصيله لذلك أو تقول حين ترى العذاب لو أني كرة رجعة إلى الدنيا فأكون من المحسنين من الموحدين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين بلى رد من الله كأنه يقول بلى قد جاءتك آياتى وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق علىالباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة علىالهدى واشتغلت بضد ما أمرت

ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين (60) وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون (61) الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل (62) له مقاليد السماوات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون (63)

الزمر 63 - 60
به فانما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى جواب لنفي تقديري لان المعنى لو أن الله هداني ما هديت وانما لم يقرن الجواب به لانه لا بد من حكاية اقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وصفوه بما لا يجوز عليه من اضافة الشريك والولد اليه ونفي الصفات عنه وجوههم مبتدأ مسودة خبر والجملة في محل النصب على الحال ان كان ترى من رؤية البصر وان كان من رؤية القلب فمفعول ثان اليس في جهنم مثوى منزل للمتكبرين هو اشارة الى قوله واستكبرت وينجي الله وينجى روح الذين اتقوا من الشرك بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة لا يمسهم السوء النار

ولاهم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أي لا يمس ابدانهم اذى ولا قلوبهم خزي او بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا نحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها ولا محل للايمسهم على التفسير الاول لانه كلام مستانف ومحله النصب على الحال على الثاني بمفازاتهم كوفي غير حفص لله خالق كل شىء رد على المعتزلة والتنوبة وهو على كل شيء وكيل حافظ له مقاليد السموات والأرض أى هو مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدير امرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت إليه الملك وهى المفاتيح وأحدها مقليد وقيل ولا واحدلها من لفظها والكلمة اصلها فارسية والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون هو متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا أي ينجى الله المتقين بمفازاتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق كل شىء فهو مهيمن عليه فلا يخفى عليه شىء من اعمال المكلفين فيها وما يجزون عليها او بما يليه على ان كل شىء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل سال عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سالني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت

قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون (64) ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين (65) بل الله فاعبد وكن من الشاكرين (66) وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون (67)

الزمر 67 - 64
وهو على كل شىء قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين اصابه والذين كفروا بايات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون قل ان دعاك الى دين ابائك افغير الله تامروني اعبد تامروني مكى تامروننى على الاصل شامى تامروني مدني وانتصب افغير الله باعبد وتامروني اعتراض ومعناه افغير الله اعبد يأمرك بعد هذا لبيان ايها الجاهلون بتوحيد الله ولقد اوحى إليك والى الذين من قبلك من الانبياء عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن عملك الذى عملت قبل الشرك ولتكونن من الخاسرين وانما قال لئن اشركت على التوحيد والموحى اليهم جماعة لان معناه اوحى اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين اعني جواب القسم والشرط وانما صح هذا الكلام مع علمه تعالى بان رسله لا يشركون لان الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره ولانه على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها وقيل لئن طالعت غيري في السر ليحبطن ما بيني وبينك من السر بل الله فاعبد رد لما امروه به من عبادة الهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان عبدت فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا عنه وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد ولد ادم وما قدروا الله حق قدره وما عظموه حق عظمته اذ دعوك الى عبادة غيره ولما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله حق قدره ثم نبههم على عظمته وجلالة شانه على طريقة التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه والمراد بهذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملتيه ومجموعة تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او جهة مجاز والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة والارض مبتدأ وقبضته الخبر وجميعا منصوب على الحال أي والارض اذا كانت مجتمعة قبضته يوم القيامة والقبضة المرة من القبض والقبضة المقدار المقبوض بالكف ويقال اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون

جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها

ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون (68) وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون (69) ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون (70) وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (71)

الزمر 71 - 68
قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور اكلة لقمان أي لا يفي باكلة فذة من اكلاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة والمطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب وعادة طاوي السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من هذه قدرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور فصعق مات من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله اي جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل هم حملة العرش او رضوان والحور العين ومالك والزبانية ثم نفخ فيه اخرى هي في محل الرفع لان المعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه نفخة اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها في غير مكان فاذا هم قيام ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب او ينظرون امر الله فيهم ودلت الاية على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ في الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة واشرقت الارض اضاءت بنور ربها أي بعدله بطريق الاستعارة يقال

للملك العادل اشرقت الافاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما يقال اظلمت البلاد بجور فلان وقال عليه الصلاة والسلام الظلم ظلمات يوم القيامة واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وقال الامام ابو منصور رحمه الله يجوز ان يخلق الله نورا فينور به ارض الموقف واضافته اليه تعالى للتخصيص كبيت الله وناقة الله ووضع الكتاب أي صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس او اللوح المحفوظ وجىء بالنبيين ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة وما اجابهم قومهم والشهداء الحفظة وقيل هم الابرار في كل زمان يشهدون على اهل ذلك الزمان وقضى بينهم بين العباد بالحق بالعدل وهم لا يظلمون ختم الاية بنفي الظلم كما افتتحها باثبات العدل ووفيت كل نفس ما عملت أي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون من غير كتاب ولا شاهد وقيل هذه الاية تفسير قوله وهم لا يظلمون أي ووفيت كل نفس ما عملت من خير وشر لا يزاد في شر ولا ينقص من خير وسيق الذين كفروا الى جهنم سوقا عنيفا كما يفعل بالاسارى

قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (72) وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (73) وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين (74) وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (75)

الزمر 73 - 71
والخارجين علىالسلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل زمرا حال أي افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض حتى اذا جاءوها فتحت بالتخفيف فيهماكوفى ابوابها وهي سبعة وقال لهم خزنتها أي حفظة جهنم وهم الملائكة الموكلون بتعذيب اهلها الم ياتكم رسل منكم من بني ادم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة قالوا بلى اتونا وتلوا علينا ولكن

حقت كلمة العذاب على الكافرين أي ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن جهنم بسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها حال مقدرة أي مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معروف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا المراد سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم ويشرف من الوافدين على بعض الملوك حتى اذا جاءوها هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فذل بحدفه على انه شىء لا يحيط به الوصف وقال الزجاج تقديره حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دخلوها فحذف دخلوها لان في الكلام دليلا عليه وقال قوم حتى اذا جاؤوها جاؤوها وفتحت ابوابها فعندهم جاؤوها محذوف والمعنى حتى اذا جاؤوها وقع مجيئهم مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا تفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فمتقدم فتحها لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جىء بالواو وكانه قال حتى اذا جاؤوها وقد فتحت ابوابها طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا وقال الزجاج أي كنتم طيبين في الدنيا ولم تكونوا خبيثين أي لم تكونوا اصحاب خبائث وقال ابن عباس طاب لكم المقام وجعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة لأنها دار الطيبين ومثوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف

حم (1) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (2)

الزمر 75 - 74
غافر 3 - 1
بصفتها وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده انجزنا ما وعدنا في الدنيا من نعيم العقبى واورثنا الارض ارض الجنة وقد اورثوها أي ملكوها

جعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يشاؤون تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه نتبوا حال من الجنة حيث نشاء أي يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوا أي فيتخذ متبوا ومقرا من جنته حيث يشاء فنعم أجر العاملين في الدنيا الجنة وترى الملائكة حافين حال من الملائكة من حول العرش أي محدقين من حوله ومن لابتداء الغاية أي ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله يسبحون حال من الضمير في حافين بحمد ربهم أي يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر او سبوح قدوس رب الملائكة والروح وذلك للتلذذ دون التعبد لزوال التكليف وقضى بينهم بين الانبياء والامم او بين اهل الجنة والنار بالحق بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين أي يقول اهل الجنة شكرا حين دخولها وتم وعد الله لهم كما قال واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر الحواميم السبع كلها مكية عن ابن عباس رضى الله عنهما

سورةالمؤمن مكية وهي خمس وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم وما بعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وبين الفتح والكسر مدني وغيرهم بالتفخيم وعن ابن عباس انه اسم الله الاعظم تنزيل الكتاب أي هذا تنزيل الكتاب من الله العزيز أي المنيع بسلطانه عن أن أي يتقول عليه متقول العليم بمن صدق به وكذب فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين غافر الذنب ساتر ذنب المؤمنين وقابل التوب قابل توبة الراجعين شديد العقاب على المخالفين ذى الطول ذى الفضل على العارفين او ذي الغنى عني الكل وعن ابن عباس

غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير (3) ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد (4) كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب (5)

غافر 5 - 3

غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والاوب اخوات في معنى الرجوع والطول والغنى والفضل فان قلت كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة قلت اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه ثم يرد بهما حدوث الفعلين حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه واما شديد العقاب فهو في تقدير شديد عقابه فتكون نكرة فقيل هو بدل وقيل لما وجدت هذه النكرة بين هذه المعارف اذنت بان كلها ابدال غير اوصاف وادخال الواو في وقابل للتوب لنكتة وهي افادة الجمع المذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة والقبول وروى ان عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب قال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا له الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه لا اله الا هو صفة ايضا لذالطول ويجوز ان يكون مستانفا اليه المصير المرجع ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا ما يخاصم فيها بالتكذيب بها والانكار لها وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيها لا يضاح ملتبسها وحل مشكلها واستنباط معانيها ورد اهل الزيغ بها فاعظم جهاد في سبيل الله فلا يغررك تقبلهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة سالمين غانمين فان عاقبة امرهم الى العذاب ثم بين كيف ذلك فاعلم ان الامم الذين كذبت قبلهم اهلكت فقال كذبت قبلهم قوم نوح نوحا والاحزاب أي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عادو ثمود وقوم لوط وغيرهم من بعدهم من بعد قوم نوح وهمت كل امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم لياخذوه ليتمكنوا منه فيقتلوه والاخيذ الاسير وجادلوا بالباطل بالكفر ليدحضوا به الحق ليبطلوا به الايمان فاخذتهم مظهر مكى وحفص يعنى انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على

ارادة اخذ الرسل ان اخذتهم فعاقبتهم فكيف كان عقاب وبالياء يعقوب أي فانكم تمرون على بلادهم

وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار (6) الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (7)

غافر 7 - 6
فتعاينون اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا كلمات ربك مدنى وشامى انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة أو فى محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار ويلزم الوقف على النار لانه لو وصل لصار الذين يحملون العرش ومن حوله يعنى حاملى العرش والحافين حوله وهم الكروبيون سادة الملائكة صفة لاصحاب النار وفساده ظاهر روى أي حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى رؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم يهللون ويكبرون ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر يسبحون خبر المبتدا وهو الذين بحمد ربهم أي مع حمده اذ الباء تدل على ان تسبيحهم بالحمد له ويؤمنون به وفائدته مع علمنا بان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون اظهارا شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين امنوا فابان بذلك فضل الايمان وقد روعى التناسب

في قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا كانه قيل ويؤمنون به ويستغفرون لمن في مثل حالهم وفيه دليل على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء الى النصيحة والشفقة وان تباعدت الاجناس والاماكن ربنا أي يقولون ربنا وهذا المحذوف حال وسعت كل شيء رحمة وعلما والرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء في المعنى اذ الأصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز مبالغة في وصفه بالرحمة والعلم فاغفر للذين تابوا أي للذين علمت منهم التوبة لتناسب ذكر الرحمة والعلم واتبعوا سبيلك أي طريق الهدى الذي دعوت اليه وقهم عذاب الجحيم ربنا

ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم (8) وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم (9) إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون (10) قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل (11)

غافر 11 - 8
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم من في موضع نصب عطف على هم في وادخلهم او في وعدتهم والمعنى وعدتهم ووعدت من صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم أي الملك الذى لا يغلب وانت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا خاليا عن الحكمة وموجب حكمتك ان تفى بوعدك وقهم السيئات أي جزاء السيئات وهو عذاب النار ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك أي رفع العذاب هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون أي يوم القيامة اذا دخلوا النار ومقتوا انفسهم فيناديهم خزنة النار لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم أي لقمت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فاستغنى بذكرها مرة والمقت اشد البغض وانتصاب اذ تدعون الى الايمان بالمقت الاول عند الزمخشرى والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة كان الله بمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر

اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وقيل معناه لمقت الله اياكم الان اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل وقال جامع العلوم وغيره اذ منصوب بفعل مضمر دل عليه لمقت الله أي بمقتهم الله حين دعوا الى الايمان فكفروا ولا ينتصب بالمقت الاول لأن قوله لمقت الله مبتدا وهو مصدرو خبره اكبر من مقتكم انفسكم فلا يعمل في اذ تدعون لان المصدر اذا اخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شىء يكون في صلته لان الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بنقصانه ولا بالثاني لاختلاف الزمانين وهذا لانهم مقتوا انفسهم في النار وقد دعوا الى الايمان في الدنيا فتكفرون فتصرون على الكفر قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اى اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم عند انقضاء اجالهم وصح ان يسمى خلقهم امواتا اماته كما صح ان يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الغيل وليس ثمة نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر والسبب فيه ان الصغر والكبر جائزان على المصنوع الواحد فاذا اختار الصانع احد الجائزين فقد صرف المصنوع عن الجائز الاخر فجعل صرفه عنه كنقله منه وبالاحياءتين الاحياة الاولى في الدنيا والاحياءة الثانية البعث ويدل عليه قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم

ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير (12) هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب (13) فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (14) رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق (15) يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (16)

غافر 16 - 11
وقيل الموتة الاولى في الدنيا والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء الاول احياؤه في القبر بعد موته للسؤال والثاني للبعث فاعترفنا بذنوبنا لما راوا الاماتة والاحياء تكررا عليهم علموا ان الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التى

اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم فهل الى خروج من النار اى الى نوع من الخروج سريع او بطىء لنتخلص من سبيل قط ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا اى ذلكم الذى انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به فالحكم لله حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلى شانه فلا يرد قضاؤه الكبير العظيم سلطانه فلا يحد جزاؤه وقيل كان الحرورية اخذوا قولهم حكم إلا لله من هذا وقال قتادة لما خرج اهل حروراء قال علي رضى الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون اى يقولون لا حكم الا لله فقال علي رضى الله عنه كلمة حق اريد بها باطل هو الذي يريكم اياته من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها وينزل لكم من السماء وبالتخفيف مكى وبصرى رزقا مطرا لأنه سبب الرزق وما يتذكر الا من ينيب وما يتعظ وما يعتبر بايات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم قال للمنيبين فادعوا الله فاعبدوه مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح ثلاثة اخبار لقوله هو مرتبة على قوله الذى يريكم او اخبار مبتدا محذوف ومعنى رفيع الدرجات رافع السموات بعضها فوق بعض او رافع درجات عباده في الدنيا بالمنزلة او رافع منازلهم في الجنة وذو العرش مالك عرشه الذي فوق السموات خلقه مطافا للملائكة اظهار لعظمته مع استغنائه في مملكته والروح جبريل عليه السلام او الوحى الذي تحيا به القلوب من امره من اجل امره او بامره على من يشاء من عباده لينذر اى الله أو الملقى عليه وهو النبي عليه السلام ويدل عليه قراءة يعقوب لتنذر يوم التلاق يوم القيامة لانه يلتقى فيه اهل السماء واهل الارض والاولون والاخرون التلاقى مكى ويعقوب يوم هم بارزون ظاهرون لا يسترهم شىء من جبل او اكمة او بناء لا يخفى على الله منهم شىء اى من اعمالهم واحوالهم لمن الملك اليوم

اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب (17) وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما

للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (18) يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (19) والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير (20)

غافر 21 - 17
اى يقول الله تعالى ذلك حين لا احد يجيبه ثم يجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار اى الذى قهر الخلق بالموت وينتصب اليوم بمدلول لمن اى لمن يثبت الملك في هذا اليوم وقيل ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى ان كل نفس تجزى بما كسبت عملت في الدنيا من خير وشر وان الظلم مامون منه لانه ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطىء لانه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وانذرهم يوم الازفة اى القيامة سميت بها لازوفها اى لقربها ويبدل من يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر اى التراقى يعنى ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا كاظمين ممسكين بحناجرهم من كظم القربة شد راسها وهو حال من القلوب محمول على اصحابها وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذى هو من افعال العقلاء ما للظالمين الكافرين من حميم محب مشفق ولا شفيع يطاع اى يشفع وهو مجاز عن الطاعة لان الطاعة حقيقة لا تكون الا لمن فوقك والمراد نفى الشفاعة والطاعة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر يريد به نفى الضب وانجحاره وان احتمل اللفظ انتفاء الطاعة دون الشفاعة فعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البته يعلم خائنة الاعين مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما يحل وما تخفى الصدور وما تسره من امانة وخيانة وقيل هو ان ينظر الى اجنبية بشهوة مسارقة ثم يتفكر بقلبه في جمالها ولا يعلم بنظرته وفكرته من بحضرته والله يعلم ذلك كله ويعلم خائنة الاعين خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم اياته مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضى بالحق اى والذي هذه صفاته لا يحكم الا

بالعدل والذى يدعون من دونه لا يقضون بشىء والهتهم لا يقضون بشىء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى او لا يقضى تدعون نافع ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر او لم يسيروا في الارض فينظروا

أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق (21) ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب (22) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (23) إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب (24) فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال (25) وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد (26)

غافر 26 - 21
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اى اخر امر الذين كذبوا الرسل من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة هم فصل وحقه ان يقع بين معرفتين الا ان اشد منهم ضارع المعرفة في انه لا تدخله الالف واللام فأجرى مجراه منكم شامى واثارا في الارض اى حصونا وقصورا فاخذهم الله بذنوبهم عاقبهم بسبب ذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ولم يكن لهم شىء يقيهم من عذاب الله ذلك بانهم اى الاخذ بسبب انهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى قادر على كل شىء شديد العقاب اذا عاقب ولقد ارسلنا موسى باياتنا التسع وسلطان مبين وحجة ظاهرة الى فرعون وهامان وقارون فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه اى اعيدوا عليهم القتل كالذى كان اولا واستحيوا نساءهم للخدمة وما كيد الكافرين الا في ضلال ضياع يعنى انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا

القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام وأحس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى عليه السلام وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا وقال فرعون لك ذروني اقتل موسى كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى نخافه وهو اقل من ذلك وما هو الا ساحر واذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون قد استيقن انه نبي وان ماجاء به ايات وما هو بسحر ولكن كان فيه خب وكان قتالا سفاكا للدماء في اهون شىء فكيف لا يقتل من احس بانه هو الذي يهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام

وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب (27) وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (28)

غافر 28 - 26
او ان يظهر موسى في الارض الفساد بضم الياء ونصب الدال مدنى وبصري وحفص وغيرهم بفتح الياء ورفع الدال والاول اولى لموافقة يبدل والفساد في الارض التقاتل والتهايج الذى يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال انى اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وقرأ غير اهل الكوفة وان معناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم معا وقال موسى لما سمع بما اجراه فرعون من حديث قتله لقومه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وفي قوله وربكم بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذة ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال

من كل متكبر لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادل على دناءة صاحبه وعلى فرط ظلمه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه إذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت اخوان وعت بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلي وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون امن بموسى سرا ومن ال فرعون صفة لرجل وقيل كان اسرائيليا من آل فرعون صلة ليكتم اى يكتم ايمانه من ال فرعون واسمه سمعان او حبيب او خربيل او حزبيل والظاهر الاول اتقتلون رجلا ان يقول لان يقول وهذا انكار منه عظيم كانه قيل اترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة ومالكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق وهي قوله ربي الله وهو ربكم ايضا لا ربه وحده وقد جاءكم الجملة حال بالبينات من ربكم يعني انه لم يحضر لتصحيح قوله ببينة واحدة ولكن ببينات من عند من اسب اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاتعراف به وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم احتج عليهم بطريق التقسيم فانه لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا فان يك كاذبا فعليه وبال كذبه ولا يتخطاه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم من العذاب ولم يقل كل الذى يعدكم مع انه وعد من نبي صادق القول مداراة لهم وسلوكا لطريق الانصاف فجاء بما هو اقرب الى تسليمهم له وليس فيه نفى اصابه الكل فكانه قال لهم لعل ما يكون في صدقه ان يصيبكم بعض ما يعدكم وهو العذاب العاجل وفى ذلك هلاككم وكان وعدهم عذاب الدنيا والاخرة وتقديم

يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (29) وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب (30) مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد (31) ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد (32)

غافر 32 - 28
الكاذب على الصادق من هذا القبيل ايضا وتفسير البعض بالكل مزيف ان الله لا يهدى من هو مسرف مجاوز للحد كذاب في ادعائه وهذا ايضا من باب المجاملة والمعنى انه كان مسرفا كذابا خذله الله واهلكه فتتخلصون منه أو لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله بالنبوة ولما عضده بالبينات وقيل اوهم انه عنى بالمسرف موسى وهو يعنى به فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين عالين وهو حال من كم في لكم في الارض في ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا عنى ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله اى عذابه فانه لا طاقة لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قال فرعون ما اريكم الا ما ارى اى ما اشير عليكم برای الا بما ارى من قتله يعنى لا استصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الراى الا سبيل الرشاد طريق الصواب والصلاح وما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر يعنى ان لسانه وقلبه متوطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى عليه السلام ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقال الذى آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب أي مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ولم يلتبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع ودأب هؤلاء دؤبهم في عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف اى مثل جزاء دأبهم وانتصاب مثل الثاني بانه عطف بيان لمثل الاول وما الله يريد ظلما للعباد اى وما يريد الله ان يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب او يزيد على قدر ما يستحقون من العذاب يعنى ان تدميرهم كان عدلا لانهم استحقوه بأعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة ظلم منكر ومن بعد عن ارادة ظلم ما لعبادة كان عن الظلم ابعد وابعد وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم ان يظلموا بعيد لان اهل اللغة قالوا اذا قال الرجل لاخر لا اريد ظلما لك معناه لا اريد ان اظلمك وهذا تخويف بعذاب الدنيا ثم خوفهم من عذاب الاخرة بقوله وياقوم انى اخاف عليكم يوم التناد

يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد (33) ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (34) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (35) وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (36)

غافر 36 - 33
اى يوم القيامة التنادى مكى ويعقوب في الحالين واثبات الياء هو الاصل وحذفها حسن لان الكسرة تدل على الياء واخر هذه الآى على الدال وهو ما حكى الله تعالى في سورة الاعراف ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف وقيل ينادى مناد الا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا الا ان فلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها ابدا يوم تولون مدبرين منصرفين عن موقف الحساب الى النار مالكم من الله من عذاب الله من عاصم مانع ودافع ومن يضلل الله فماله من هاد مرشد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات هو يوسف بن يعقوب وقيل يوسف ابن افراييم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنة وقيل هو فرعون اخر وبخهم بأن يوسف اتاكم من قبل موسى بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به نشككم فيها ولم تزالوا شاكين حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم من غير برهان اى اقمتم على كفركم وظننتم انه لا يجدد عليكم ايجاب الحجة كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب اى مثل هذا الاضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب شاك في دينه الذين يجادلون بدل من هو مسرف وجاز بداله منه وهو جمع لانه لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف في آيات الله في دفعها وابطالها بغير سلطان حجة اتاهم كبر مقتا اى عظم بغضا وفاعل كبر ضمير هو مسرف وهو جمع معنى وموحد لفظا فحمل البدل على معناه والضمير الراجع إليه على لفظه ويجوز ان يرفع الذين على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف

مضاف يرجع اليه الضمير في كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار قلب بالتنوين ابو عمرو وانما وصف القلب التكبر والتجبر لانه منبعهما كما تقول سمعت الاذن وهو كقوله فانه اثم قلبه وان كان الاثم هو الجملة وقال فرعون تمويها على قومه او جهلا منه يا هامان ابن لي صرحا اى قصرا وقيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد ومنه يقال صرح الشىء اذا ظهر لعلى وبفتح الياء حجازى وشامى وابو عمرو ابلغ الاسباب ثم ابدل منها تفخيم شأنها وإبانة انه يقصد امر عظيما اسباب السموات اى طرقها وابوابها وما يؤدي اليها

أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب (37) وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (38) يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار (39) من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب (40) ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار (41) تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار (42)

غافر 42 - 37
وكل ما أداك الى شىء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه فأطلع بالنصب حفص على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى وغيره بالرفع عطفا على ابلغ الى إله موسى والمعنى فانظر اليه واني لاظنه اى موسى كاذبا في قوله له اله غيري وكذلك ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل المستقيم وبفتح الصاد كوفى ويعقوب اى غيره صدا او هو بنفسه صدودا والمزين الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل او الله تعالى ومثله زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون وما كيد فرعون الا في تباب خسران وهلاك وقال الذي امن يا قوم اتبعون اتبعونى في الحالين مكي ويعقوب وسهل أهدكم سبيل الرشاد وهو

نقيض الغى وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغى اجمل اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها بقوله يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع تمتع يسير فالاخلاد اليها اصل الشر ومنبع الفتن وثنى بتعظيم الاخرة وبين انها هى الوطن والمستقر بقوله وان الاخرة هى دار القرار ثم ذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف بقوله من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب يدخلون مكي وبصرى ويزيد وابو بكر ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي تمرته الجنات ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار بقوله ويا قوم مالى وبفتح الياء حجازي وابو عمرو ادعوكم الى النجاة اى الجنة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله هو بدل من تدعونني الاول يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له واشرك به ماليس لى به علم اى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى للعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله وماليس باله كيف يصح ان يعلم الها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار وهو الله سبحانه

لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار (43) فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد (44) فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (45) النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب (46) وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار (47)

غافر 47 - 43
وتعالى وتكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قومه وانه من ال فرعون وجىء بالواو في النداء الثالث دون الثاني ولان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له بخلاف الثالث لا جرم عند البصريين لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة معناه ان

ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اى من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية او معناه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الاخرة دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه بالجزاء في قوله كما تدين تدان وان مردنا الى الله وان رجوعنا اليه وان المسرفين وان المشركين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم اى من النصيحة عند نزول العذاب وافوض واسلم امرى وبفتح الياء مدنى وابو عمرو الى الله لانهم توعدوه ان الله بصير بالعباد باعمالهم ومالهم فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل انه خرج من عندهم هاربا الى جبل فبعث قريبا من الف في طلبه فمنهم من اكلته السباع ومن رجع منهم صلبه فرعون وحاق ونزل بال فرعون سوء العذاب النار بدل من سوء العذاب او خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما سوء العذاب قيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون عليها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به غدوا وعشيا اى في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس اخر أو ينفس عنهم ويجوز ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا في الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال لخزنة جهنم ادخلوا ال فرعون من الادخال مدنى وحمزة وعلي وحفص خلف ويعقوب وغيرهم ادخلوا أي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب اى عذاب جهنم وهذه الآية دليل على عذاب القبر واذ يتحاجون واذكر وقت تخاصمهم في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا يعنى الرؤساء أنا كنا لكم تبعا تباعا كخدم في جمع خادم

قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد (48) وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب (49) قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال (50) إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد (51) يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار (52) ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب (53) هدى وذكرى لأولي

غافر 55 - 47
فهل أنتم مغنون دافعون عنا نصيبا جزءا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها التنوين عوض من المضاف اليه اى انا كلنا فيها لا يغنى احد عن احد ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين في النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها وانما لم يقل لخزنتها لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هى ابعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما بقدر يوم من الدنيا من العذاب قالوا اى الخزنة توبيخا لهم بعد مدة طويلة او لم تك اى او لم تك قصة وقوله تأتيكم رسلكم تفسير للقصة بالبينات بالمعجزات قالوا اى الكفار بلى قالوا اى الخزنة تهكما بهم فادعوا انتم ولا استجابة لدعائكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال بطلان وهو من قول الله تعالى ويحتمل ان يكون من كلام الخزنة انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اى في الدنيا والاخرة يعنى انه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم ولو بعد حين ويوم نصب محمول على موضع الجار والمجرور كما تقول جئتك في امس واليوم والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الانبياء والحفظة فالانبياء يشهدون عند رب العزة على الكفرة بالتكذيب والحفظة يشهدون على بني آدم بما عملوا من الاعمال تقوم بالتاء الرازى عن هشام يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم هذا بدل من يوم يقوم اى لا يقبل عذرهم لاينفع كوفى ونافع ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اى سوء دار الأخرة وهو عذابها ولقد اتينا موسى الهدى يريد به جميع ما اتى به في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب اى التوراة والانجيل والزبور لان الكتاب جنس اى تركنا الكتاب من بعد هذا الى هذا هدى وذكرى ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له او على الحال لاولى الالباب لذوى العقول فاصبر على ما يجرعك قومك من الفصص ان وعد الله حق يعنى ان ما سبق به وعد من نصرتك واعلاء

فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار (55) إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير (56) لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون (57) وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون (58) إن الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (59) وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (60)

غافر 60 - 55
كلمتك حق واستغفر لذنبك اى لذنب امتك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار اى دم على عبادة ربك والثناء عليه وقيل هما صلاتا العصر والفجر وقيل قل سبحان الله وبحمده ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم لا وقف عليه لان خبران ان في صدورهم الا كبر تعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون احد فوقهم فلهذا عادوك ودفعوا آياتك خيفة ان تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة او ارادة أنت تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ماهم ببالغيه ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة اوالنبوة او دفع الايات فاستعذ بالله التجى اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم لخلق السموات والارض اكبر من خلف الناس لما كانت مجادلتهم في آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو اصل المجادلة ومدارها حجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها فان من قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا يتاملون لغلبة الغفلة عليهم وما يستوى الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء لا زائده قليلا ما تتذكرون تتعظون بتاءين كوفى وبياء وتاء غيرهم وقليلا صفة مصدر محذوف اى تذكرا قليلا يتذكرون وما صلة

زائدة إن الساعة لاتية لا ريب فيها لا بد من مجيئها وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء لئلا يكون خلق الخلق للفناء خاصة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم اثبكم فالدعاء بمعنى العباده كثير في القرآن ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى وقال عليه السلام الدعاء هو العبادة وقرا هذه الآية صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما وحدوني اغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد وقيل سلوني اعطكم سيدخلون جهنم سيدخلون مكى وابو عمرو داخرين

الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون (61) ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون (62) كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون (63) الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين (64) هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين (65) قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين (66)

غافر 66 - 61
صاغرين الله الذي جعل لكم الليل لتسكوا فيه والنهار مبصرا وهو من الاسناد المجازى أي مبصرا فيه لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال ولم يكونا حالين او مفعولا لهما رعاية لحق للقابلة لأنهما متقابلان معنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الاخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجزى ولو قيل ساكنا لم تتميز الحقيقة من المجاز اذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج اى ساكن لا ريح فيه ان الله لذو فضل على الناس ولم يقل لمفضل او لمتفضل لان المراد تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة ولكن اكثر الناس لا يشكرون ولم يقل ولكن اكثرهم حتى لا يتكرر ذكرالناس لان في هذا التكرير تخصيصا لكفران النعمة

بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور وقوله ان الانسان لظلوم كفار ذلكم الذي خلق لكم الليل والنهار الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة اى هو الجامع لهذه الاوصاف من الربوبية والالهية وخلق كل شىء والوحدانية فانى تؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اى كل من جحد بايات الله ولم يتاملها ولم يطلب الحق افك كما افكوا الله الذى جعل لكم الارض قرارا مستقرا والسماء بناء سقفا فوقكم وصوركم فاحسن صوركم قيل لم يخلق حيوانا احسن صورة من الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم ورزقكم من الطيبات اللذيذات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين ولما طلب الكفار منه عليه السلام عبادة الاوثان نزل قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى بالبينات من ربى هى القران وقيل العقل والوحى وامرت ان اسلم استقيم وانقاد

هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون (67) هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (68) ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون (69) الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون (70) إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون (71) في الحميم ثم في النار يسجرون (72) ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون (73) من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين (74)

غافر 74 - 67
لرب العالمين هو الذى خلقكم اى اصلكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اقتصر على الواحد لان المراد بيان الجنس ثم لتبلغوا اشدكم متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا

وكذلك ثم لتكونوا شيوخا وبكسر الشين مكى وحمزة وعلي وحماد ويحيى والاعشى ومنكم من يتوفى من قبل اى من قبل بلوغ الاشد او من قبل الشيخوخة ولتبلغوا اجلا مسمى معناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت او يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون اى فإنا يكون سريعا من غير كلفة الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع فجاز ان يكون في ثلاثة اقوام او ثلاثة اصناف او للتاكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب فسوف يعلمون اذ الأغلال في اعناقهم اذ ظرف زمان ماض والمراد به هنا الاستقبال كقوله فسوف يعلمون وهذا لان الامور المستقبلة لما كانت في اخبار الله تعالى مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال والسلاسل عطف على الاغلال والخبر في اعناقهم والمعنى اذ الاغلال والسلاسل في اعناقهم يسحبون في الحميم يجرون في الماء الحار ثم في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه انهم في النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ثم قيل لهم اى تقول لهم الخزنة اين ما كنتم تشركون من دون الله يعنى الاصنام التي تعبدونها قالوا ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول حسبت ان فلانا شىء فاذا هو ليس بشى اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال الهتهم عنهم يضلهم عن الهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادقوا او كما اضل هؤلاء

ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (75) ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (76) فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (77) ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (78) الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون (79) ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى

الفلك تحملون (80)

غافر 80 - 75
المجادلين يضل سائر الكافرين الذين علم منهم اختيار الضلالة على الذين ذلكم العذاب الذى نزل بكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان فيقال لهم ادخلوا ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم فاصبر يا محمد ان وعد الله بإهلاك الكفار حق كائن فاما نرينك اصله فان نريك وما مزيدة لتوكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا تراك لا تقول ان تكرمني اكرمك ولكن اما تكرمنى اكرمك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون هذا الجزاء متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف وتقديره واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك اوان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم اشد الانتقام ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الى اممهم منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل بعث الله ثمانية الآف في أربعة الآف من بني اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس وعن علي رضى الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا اسود فهو ممن لم تذكر قصته في القرآن وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله وهذا جواب اقتراحم فمن الآيات عنادا يعنى إنا قد أرسلنا كثيرا من ا لرسل وما كان لواحد منهم أن يأتى بآية إلا ياذن الله والآخرة وإذا ذكر الله الا ان يشاء الله وياذن في الاتيان بها فاذا جاء امر الله اى يوم القيامة وهو وعيد ورد عقيب اقتراحهم الآيات قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون المعاندون الذين اقترحوا الايات عنادا الله الذى جعل خلق لكم الانعام الابل لتركبوا منها ومنها تاكلون اى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها ولكم فيها منافع اى الالبان والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم اى لتبلغوا عليها ما تحتاجون اليه من الامور وعليها وعلى الانعام وعلى الفلك تحملون اى على الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر

ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون (81) أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (82) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون (83) فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (84) فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون (85)

غافر 85 - 81
والبحر ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون انها ليست من عند الله واى نصب بتنكرون وقد جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية ايات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اى اغرب لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم عددا واشد قوة بدنا وآثارا في الارض قصورا ومصانع فما اغنى عنهم مانافية ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم يريد علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شىء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤوا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به او علم الفلاسفة والدهريين فإنهم كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا او المراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون او الفرح للرسل اى الرسل لما راوا جهلهم واستهزائهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم

ايمانهم سنت الله بمنزلة وعد الله ونحوه من المصادر المؤكدة التي قد خلت في عبادة ان الايمان عند نزول العذاب لا ينفع وان العذاب نازل بمكذبى الرسل وخسر هنالك الكافرون هنالك مكان مستعار للزمان والكافرون خاسرون في كل اوان ولكن يتبين خسرانهم اذا عاينوا العذاب وفائدة ترادف

حم (1) تنزيل من الرحمن الرحيم (2) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (3) بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (4) وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون (5)

فصلت 5 - 1
سورة فصلت
بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم
الفا آت في هذه الايات ان فما اغنى عنهم نتيجة قوله كانوا اكثر منهم وفلما جاءتهم رسلهم كالبيان والتفسير لقوله فما اغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لمارأوا باس الله والله اعلم
سورة فصلت مكية وهى ثلاث وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
حم ان جعلته اسما للسورة كان مبتدا تنزيل خبره وان جعلته تعديدا للحروف كان تنزيل خبرا لمبتدا محذوف وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف او تنزيل مبتدا من الرحمن الرحيم صفته كتاب خبره فصلت اياته ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وأمثال ومواعظ وعد ووعيد وغير ذلك قرانا عربيا نصب على الاختصاص والمدح اى اريد بهذا الكتاب المفصل قرانا من صفته كيت وكيت او على الحال اى فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون اى لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربى ولقوم يتعلق بتنزيل او بفصلت اى

تنزيل من الله لأجلهم أو فصلت آياته لهم والاظهر أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب بشيرا ونذيرا صفتان لقرانا فأعرض اكثرهم فهم لا يسمعون اى لا يقبلون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولى ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه وقالوا قلوبنا في اكنة اغطية جمع كيان وهو الغطاء مما تدعونا اليه من التوحيد وفي اذاننا وقر ثقل يمنع من استماع قولك ومن بيننا وبينك حجاب ستر وهذه تمثيلات ليو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وماهم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقى ولا ترائى فاعمل على دينك اننا عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا إننا عاملون في ابطال امرك وفائدة زيادة من ان الحجاب ابتدأ

قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين (6) الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون (7) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون (8) قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين (9) وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين (10)

فصلت 10 - 6
منا وابتدا منك فالمسألة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط الجهتين قل انما انا بشر مثلكم يوحىالى انما الهكم اله واجد هذا جواب لقولهم قلوبنا في اكنة ووجهه انه قال لهم انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحى الى دونكم فصحت نبوتى بالوحى الى وانا بشر واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الى ان الهكم اله واحد فاستقيموا اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان

من اتخاذ الاولياء والشفعاء واستغفروه من الشرك وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة لا يؤمنون بوجوب الزكاة ولا يعطونها اولا يفعلون ما يكونون به ازكياء وهو الايمان وهم بالاخرة بالبعث والثواب والعقاب هم كافرون وإنما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر بالاخرة لان احب شىء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك اقوى دليل على استقامته وصدق نيته ونصوع طويته وماخدع المؤلفة قلوبهم الا بظلمة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وما ارتدت بنو حنيفة الا بمنع الزكاة وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون مقطوع قيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين الاحد والاثنين تعليما للاناة ولو أراد ان يخلقها في لحظة لفعل وتجعلون له اندادا شركاء واشتباها ذلك الذي خلق ما سبق رب العالمين خالق جميع الموجودات وسيدها ومربيها وجعل فيها في الارض رواسي جبالا ثوابت من فوقها انما اختار ارساءها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليبصر ان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو الله عز وجل وبارك بالماء والزرع والشجر ولاثمر فيها في الارض وقيل بارك فيها واكثر خيرها وقدر فيها اقواتها ارزاق اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقرا ابن مسعود رضى الله عنه وقسم فيها اقوالتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام يريد بالتتمة اليومين تقول سرت من البصرة الى بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر اى تتمه خمسة ولا بد من هذاالتقدير لانه لو اجرى على الظاهر لكانت ثمانية ايام لانه قال خلق الارض في يومين ثم قال واقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم قال

ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (11) فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم (12)

فصلت 12 - 11

فقضاهن سبع سموات في يومين فيكون خلاف قوله في ستة ايام في موضع اخر وفي الحديث ان الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق لاجبال يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والعمران والخراب فتلك اربعة ايام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق ادم عليه السلام في اخر ساعة من يوم الجمعة قيل هى الساعة التي تقوم فيها القيامة سواء يعقوب صفة للايام اى في اربعة ايام مستويات تامات سواء بالرفع يزيد اى هى سواء غيرهما سواء على المصدر اى استوت سواء اي استواء او على الحال للسائلين متعلق بقدر اى قدر فيها الافوات لاجل الطالبين لها والمحتاجين اليها لان كلا يطلب القوت ويساله او بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين هو مجاز عن ايجاد الله تعالى السماء على ما اراد تقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا يريدون انه اكمل الاول وابتدا الثاني ويفهم منه ان خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما وعنه انه قال اول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة في مسيرة عشرة الاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فقام فوق الماء فجعل الزبد ارضا والدخان سماء ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما اليه اراد ان يكونهما فلم يمتنعا عليه ووجدنا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الامر المطاع وانما ذكر الارض مع السماء في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين لانه قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ان ائتيا على ما ينبغى عليه ان تأتيا من الشكل والوصف ائتى يا ارض مدحو قرار ا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقبية سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول اتى عمله مرضيا وقوله طوعا او كرها لبيان تأثير قدرته فيهما وان امتناعهما من تاثير قدرته محال كما تقول لمن تحت يدك لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها ونتصابها على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين وانما لم يقل طائعتين علىاللفظ او طائعات على المعنى لانهما سموات وارضون لانهن لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات كقوله ساجدين فقضاهن فاحكم خلقهن

قال
وعليهما مسوردتان قضاهما والضمير يرجع الى السماء لان السماء للجنس ويجوز ان يكون ضميرا مبهما مفسرا بقوله سبع سموات والفرق بين النصيين في سبع سموات ان لاول على الحال والثاني على التمييز في يومين في يوم الخميس والجمعة واوحى في كل سماء امرها ما امر به فيها ودبره

فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (13) إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون (14) فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون (15)

فصلت 15 - 12
من خلق الملائكة والنيران وغير ذلك وزينا السماء الدنيا القريبة من الارض بمصابيح بكواكب وحفظا وحفظناها من المسترقة بالكواكب حفظا ذلك تقدير العزيز الغالب غير المغلوب العليم بمواقع الامور فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم خوفتكم صاعقة عذابا شديد الوقع كانه صاعقة واصلها رعد معه نار مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم اى اتوهم من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا الاعراض وعن الحسن انذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الاخرة أن بمعنى اى او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا الا الله قالوا اى القوم لو شاء ربنا إرسال الرسل فمفعول شاء محذوف لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون عناه فاذاانتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقوله ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانماهو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وقولهم فانا بما ارسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم روى ان قريشا بعثوا عقبة بن ربيعة وكان احسنهم حديثا ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر ما يريد فاتاه وهو في الحطيم فلم يسال شيئا الا اجابه ثم قرأ عليه السلام السورة الى قوله مثل صاعقة عاد

وثمود فاشده بالرحم وارسلك على فيه ووثب مخافة ان يصب عليهم العذاب فاخبرهم به وقال لقد عرفت السحر والشعر فوالله ما هو بساحر ولا بشاعر فقالوا لقد صبأت اما فهمت منه كلمة فقال لا ولم اهتد الى جوابه فقال عثمان بن مظعون ذلك والله لتعلموا انه من رب العالمين ثم بين ما ذكر من صاعقة عاد وثمود فقال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق اى تعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الاجرام او استولوا على الارض بغير استحقاق للولاية وقالوا من اشد منا قوة كانوا ذوى اجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم ان الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده اولم يروا أو لم يعلموا علما يقوم مقام العيان ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة اوسع منهم قدرة لانه قادر على كل شىء وهم قادرون على بعض الاشياء باقداره وكانوا باياتنا يجحدون معطوف على فاستكبروا اى كانوا يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع

فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون (16) وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون (17) ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (18) ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون (19)

فصلت 19 - 16
الوديعة فارسلنا عليهم ريحا صرصرا عاصفة تصرصر اى تصوت في هبوبها من الصرير او باردة تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البردقيل انها الدبور في ايام نحسات مشئومات عليهم نحسات مكى وبصرى ونافع ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس واما نحس فاما مخفف نحس او صفة على فعل او وصف بمصدر وكانت من الاربعاء في اخر شوال الى الاربعاء وما عذب قوم الا في الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزى في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على انه وصف العذاب كانه قال عذاب خزى كما تقول فعل السوء تريد الفعل السىء ويدل عليه قوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو من الاسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى ابلغ من وصفهم به

فشتان ما بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر وهم لا ينصرون من الاصنام التي عبدوها على رجاء النصر لهم واما ثمود بالرفع على الابتداءوهو الفصيح لوقوعه بعد حرف الابتداء والخبر فهديناهم وبالنصب المفضل باضمار فعل يفسره فهديناهم اى بينا لهم الرشد فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الكفر على الايمان فاخذتهم صاعقة العذاب داهية العذاب الهون الهوان وصف به العذاب مبالغة اوابدله منه بما كانوا يكسبون بكسبهم وهو شركهم ومعاصيهم وقال الشيخ ابو منصور يحتمل ما ذكر من الهداية التبيين كما بينا ويحتمل خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل لاهتداء فاما الهدى المضاف الى الخلق يكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت اليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت الدلالة على انه مكنهم فازاح عللهم ولم يبق لهم عذر فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها وانما فعل بهذا لانه لا يتمكن من ان يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد ونجينا الذين امنوا اى اختاروا الهدى على العمى من تلك الصاعقة وكانوا يتقون اختيار العمى على الهدى ويوم يحشر اعداء الله النار اى الكفار من الأولين والاخرين نحشر اعداء نافع ويعقوب فهم يوزعون بحبس اولهم على اخرهم اى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم

حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون (20) وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون (21) وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (22) وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (23) فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين (24) وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (25)

فصلت 25 - 20
وهى عبارة عن كثرة اهل النار واصله من وزعته اى كففته حتى اذا ما جاءوها صاروا بحضرتها وما مزبدة للتأكيد ومعنى التاكيد ان وقت مجيئهم النار لا محالة ان يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون شهادة الجلود بملامسة الحرام وقيل هى كناية عن الفروج وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها عليهم قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء من الحيوان والمعنى ان نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على انطاق كل حيوان وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وهو قادر على انشائكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجوعكم الى جزائه وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استناركم ذلك خيفة ان يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعلمون ولكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من اعمالكم وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارادكم وذلك الظن هو الذى اهلككم وذلكم مبتدأ وظنكم والذى ظننتم بربكم صفته وارداكم خبر ثان او ظنكم بدل من ذلكم وارداكم الخبر فاصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم اى فان يصبروا لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار وان لم يستعتبوا ماهم من المعتبين وان يطلبوا الرضا فما هم من المرضيين او ان يسالوا العتبى وهى الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها وقيضنا لهم اى قدرنا لمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان اى مثلان والمقايضة المعاوضة وقيل سلطنا عليهم قرناء اخذانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما تقدم من اعمالهم وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا

وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (26) فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون (27) ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون (28) وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين (29) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (30)

فصلت 30 - 26
حساب وحق عليهم القول كلمة العذاب في امم في جملة ام ومحله النصب على الحال من الضمير في عليهم اى حق عليهم القول كائنين في جملة امم قد خلت من قبلهم قبل اهل مكة من الجن والانس انهم كانوا خاسرين هو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران اذا قرىء والغوا فيه لعلكم تغلبون وعارضوه بكلام غير مفهوم حتى تشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا يجوز ان يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والامرين لهم باللغو خاصة ولكن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم ولنجزينهم اسوأ الذين كانوا يعملون اى اعظم عقوبة على اسوأ اعمالهم وهو الكفر ذلك جزاء اعداء الله ذلك اشارة الى الاسوأ ويجب ان يكون التقدير اسوأ جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة النار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف لهم فيها دار الخلد اى النار في نفسها دار الخلد كما تقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تعنى الدار بعينها جزاء اى جوزوا بذلك جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا ارنا وبسكون الراء لثقلى الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ مكى وشامى وابو بكر وبالاختلاس ابو عمرو الذين اضلانا اى الشيطانين الذين اضلانا من الجن والانس لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس الجن نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين في النار جزاء اضلالهم ايانا ان الذين قالوا ربنا الله اى نطقوا بالتوحيد ثم استقاموا ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم

الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه لم يروغوا روغان الثعالب اى لم ينافقوا وعن عثمان رضى الله عنه اخلصوا العمل وعن علي رضى الله عنه ادوا الفرائض وعن الفضيل زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقيل حقيقة الاستقامة القرار بعد الاقرار لا الفرار بعد الاقرار تتنزل

نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (31) نزلا من غفور رحيم (32) ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (33) ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (34) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (35)

فصلت 35 - 30
عليهم الملائكة عند الموت ان بمعنى اى او مخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن أى لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم فالخوف غم يلحق الانسان لتوقع المكروه والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى ان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا وقال محمد بن علي الترمذى تتنزل عليهم ملائكة الرحمن عند مفارقة الارواح الابدان ان لا تخافوا سلب الايمان ولا تحزنوا على ما كان من العصيان وابشروا بدخول الجنان التي كنتم توعدون في سالف الزمان نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفى الاخرة كما ان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحباؤهم في الدراين ولكم فيها ما تشتهى انفسكم من النعيم ولكم فيها ما تدعون تتمنون نزلا هو رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال من الهاء المحذوفة اومن ما من غفور رحيم نعت له ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته هو رسول الله دعا الى التوحيد وعمل صالحا خالصا وقال انني من المسلمين تفاخرا بالاسلام او معتقدا له او اصحابه عليه السلام او المؤذنون او جميع الهداة والدعاة الى الله ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى احسن يعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في

انفسهما فخذ بالحسنة التي هى احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك كما لو اساء اليك رجل اساءة فالحسنةان تعفو عنه والتي هى احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه او يقتل ولدك فتفتدى وله من يدعوه فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ثم قال وما يلقاها اى وما يلقى هذه الخصلة التى هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا الا اهل الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وانما لم يقل فادفع بالتي هي احسن لانه تقدير قائل قال فكيف اصنع فقيل ادفع بالتي هى احسن وقيل لا مزيدة للتاكيد والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة وكان

وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم (36) ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (37) فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون (38) ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير (39)

فصلت 39 - 36
القياس على هذا التفسير ان يقال ادفع بالتي هى حسنة ولكن وضع التى هى احسن موضع الحسنة ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتي هى احسن الصبرعند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في ابى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا للنبى صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه يبعثه على مالا ينبغى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان

صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى احسن فاستعذ بالله من شره وامض على حلمك ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنزغ الشيطان ومن اياته الدالة على وحدانيته الليل والنهار في تعاقبهما على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم والشمس والقمر في اختصاصهما بسير مقدر ونور مقرر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر فانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما واسجدوا لله الذىخلقهن ان كنتم اياه تعبدون الضمير في خلقهن للآيات او الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث تقول الافلام بريتها وبريتهن ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمركالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان من عبد مع الله غيره لا يكون عابدا لله فان استكبروا فالذين عند ربك اى الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون لا يملون والمعنى فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا فدعهم وشانهم فان الله تعالى لا يعدم عابدا وساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وعند ربك عبارة عن الزافى والمكانة والكرامة وموضع السجدة عندنا لا يسئمون وعند الشافعى رحمه الله عند تبعدون والاول احوط ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة مغيرة والخسوع التذلل فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لانبات فيها فاذا انزلنا عليها الماء المطر اهتزت تحركت

إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير (40) إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز (41) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (42) ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (43) ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد (44)

فصلت 44 - 39
بالنبات وربت انتفخت ان الذى احياها لمحي الموتى انه على كل شىء قدير فيكون قادرا على البعث ضرورة ان الذين يلحدون في اياتنا يميلون عن الحق في ادلتنا بالعطعن يقال الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير لحال الارض اذا كانت ملحودة فاستعير لانحراف في تاويل ايات القران عن جهة الصحة والاستقامة يلحدون حمزة لا يخفون علينا وعيدلهم على التحريف افمن يلقى في النار خير ام من ياتى امنا يوم القيامة هذا تمثيل للكافر والمؤمن اعملوا ما شئتم هذا نهاية في التهديد ومبالغة في الوعيد انه بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ان الذين كفروا بالذكر بالقران لانهم لكفرهم به طعنوا به وحرفوا تاويله لما جاءهم حين جاءهم وخبر ان محذوف اى يعذبون او هالكون او اولئك ينادون من مكان بعيد وما بينها اعتراض وانه لكتاب عزيز اى منيع محمى بحماية الله لا ياتيه الباطل التبديل او التناقض من بين يديه ولا من خلفه اى بوجه من الوجوه تنزيل من حكيم حميد مستحق للحمد ما يقال لك ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسول من قبلك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم ولو جعلناه اى الذكر قرانا اعجميا اى بلغة العجم كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القران بلغة العجم فقيل في جوابهم لو كان كما يقترحون لقالوا لولا فصلت اياته اى بينت بلسان العرب حتى نفهمها تعنتا االعجمى وعربى بهمزتين كوفى غير حفص والهمزة للانكار يعنى لا نكروا وقالوا اقران اعجمى ورسول عربى او مرسل اليه عربى الباقون بهمزة واحدة ممدودة مستفهمة والاعجمى الذى يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العجم او العرب والعجمى منسوب الى امة العجم فصيحا كان او غير فصيح والمعنى ان ايات الله على اى طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لانهم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم وفيه اشارة

ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب (45) من عمل صالحا

فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد (46) إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد (47)

فصلت 47 - 44
على انه لو انزله بلسان العجم لكان قرانا فيكون دليلا لابى حنيفة رضى الله عنه في جواز الصلاة اذ قرا بالفارسية قل هو اى القران الذين امنو هدى ارشاد الى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك اذ الشك مرض والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر في موضع الجر لكونه معطوفا على الذين امنوا اى هو الذين امنوا هدى وشفاء وهو الذين لا يؤمنون في اذانهم وقر اى صمم الا ان فيه عطفا على عاملين وهو جائز عند الاخفش او الرفع وتقديره والذين لا يؤمنون هو في اذانهم وقر على حذف المبتدأ او في اذانهم منه وقر وهو اى القران عليهم عمى ظلم وشبهه اولئك ينادون من مكان بعيد بعنى انهم لعدم قبولهم وانتفاعهم كانهم ينادون إلى الإيمان بالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة وقيل ينادون في القيامة من مكان بعيد باقبح الاسماء وقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك في كتابك ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير العذاب لقضى بينهم لاهلكهم اهلاك استئصال وقيل الكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم افي الدنا وانهم وان الكفار لفى شك منه مريب موقع في الريبة من عمل صالحا فلنفسه فنفسه نفع ومن اساء فعليها فنفسه ضر وما ربك بظلام للعبيد فيعذب غير المسى اليه يرد علم الساعة اى علم قيامها يرد اليه اى يجب على المسئول ان يقول الله يعلم ذلك وما تخرج من ثمرات مدنى وشامى وحفص وغيرهم بغير الف من اكمامها او عيتها قبل ان تنشق جمع كم وما تحمل من انثى حملها ولا تضع الا بعلمه اى ما يحدث شىء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك ويوم يناديهم اين شركائى اضافهم الى نفسه على زعمهم وبيانه في قوله اين شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم وتقريع قالوا اذناك اعلمناك وقيل اخبرناك وهو الاظهر اذ الله

تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال اما الاخبار للعالم بالشىء فيتحقق بما علم به الا ان يكون المعنى انك علمت من قلوبناالان انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه

وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص (48) لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط (49) ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ (50) وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض (51) قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد (52) سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد (53) ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط (54)

فصلت 51 - 47
ما منا من شهيد اى مامنا احد اليوم يشهد بان لك شريكا وما منا الا من هو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم الهتهم لايبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اى مامنا من شهيد يشهد بما اضافوا الينا من الشركة وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل في الدنيا وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب لا يسام لا يمل الانسان الكافر بدليل قوله وما أظن الساعة قائمة من دعاء الخير من طلب السعة في المال والنعمه والتقدير من دعائه الخير فحذف الفاعل وأضيف الى المفعول وان مسه الشر الفقر فيئوس من الخير قنوط من الرحمة بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط ان يظهر عليه اثر الياس فيتضاءل وينكسر اى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض او سعة بعد ضيق قال هذا لى اى هذا حقى وصل الى لانى استوجبته بما عندى من خير وفضل

واعمال بر او هذا لى لا يزول عنى وما اظن الساعة قائمة اى ما اظنها تكون قائمة ولئن رجعت الى ربى كما يقول المسلمون ان لى عنده عند الله للحسنى اى الجنة او الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا امر الاخرة على امر الدنيا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا فلخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنذيقنهم من عذا غليظ شديد لا يفتر عنهم واذا انعمنا على الانسان اعرض هذا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة فنسى المنعم واعرض عن شكره ونأى بجانبه وتباعد عن ذكر الله ودعائه او ذهب بنفسه وتكبر وتعظم وتحقيقة ان يوضع جانبه موضع نفسه لان مكان الشىء وجهته ينزل منزلة نفسه ومنه قول الكتاب كتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال وتنأى بنفسه واذا مسه الشر الضر والفقر فذو دعاء عريض كثير اى اقبل على دوام الدعا واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام كما استعير الغلظ لشدة العذاب ولا منافاة بين قوله فيئوس قنوط وبين قوله فذو دعاء عريض لان الاول في قوم والثاني في قوم او قنوط

حم (1) عسق (2) كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم (3)

فصلت 54 - 52
الشورى 3 - 1
في البر ذو دعاء عريض في البحر او قنوط بالقلب ذو دعاء عريض باللسان او قنوط من الصنم ذو دعاء لله تعالى قل ارايتم اخبرونى ان كان القران من عندالله ثم كفرتم به ثم جحدتم انه من عند الله من ضل منه الا انه وضع قوله ممن هو في شقاق بعيد موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم اياتنا في الافاق من فتح البلاد شرقا وغربا وفي انفسهم فتح مكة حتى يتبين لهم انه الحق اى القران او الاسلام او لم يكف بربك موضع بربك الرفع على انه فاعل والمعفول محذوف وقوله انه على كل شىء شهيد يدل منه تقديره او لم يكفهم ان ربك على كل شىء شهيد اى او لم تكفهم شهادة ربك على كل شىء ومعناه ان هذا الموعود من اظهار ايات الله في الافاق وفى انفسهم

سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القران تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شىء شهيد الا انهم في مرية شك من لقاء ربهم الا انه بكل شىء محيط عالم يحمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافيه فيجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم

سورة شوى مكية وهى ثلاث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل حم من عسق كتابة مخالفا لكهيعص تلفيقا باخواتها ولانه ايتان وكهيعص اية واحدة كذلك يوحى اليك اى مثل ذلك الوحى او مثل ذلك الكتاب يوحى اليك والى الذين من قبلك والى الرسل من قبلك الله يعنى ان ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد اوحى الله اليك مثله في غيرها من السور واوحاه الى من قبلك يعنى الى رسله والمعنى ان الله كرر هذه المعانى في القرآن في جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من بني صاحب كتاب الا اوحى اليه بحكم عسق يوحى بفتح الحاء مكى ورافع اسم الله على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحى فقيل الله العزيز الغالب بقهره

له ما في السماوات وما في الأرض وهو العلي العظيم (4) تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم (5) والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل (6) وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير (7)

الشورى 7 - 4

الحكيم المصيب في فعله وقوله له ما في السموات ومافي الارض ملكا وملكا وهو العلى شانه العظيم برهانه تكاد السموات وبالياء نافع وعلى يتفطرن من فوقهن يتشققن ينفطرن بصرى وابو بكر ومعناه يكدن ينفطرن من علو شان الله وعطمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه ومعنى من فوقهن اى يبتدىء الانفطار من جهتهن الفوقانية وكان

القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها كلمة الكفر لانها جاءت من الذين تحت السموات ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن وقيل من فوفهن من فوق الارض فالكناية راجعة الى الارض لانه بمعنى الارضين وقيل يتشققن لكثرة ما على السموات من الملائكة قال عليه السلام اطت السماء اطا وحق لها ان تئط مافيها موضع قدم الا وعليه ملك قائم او راكع او ساجد والملائكة يسبحون بحمد ربهم خضوعا لما يرون من عظمته ويستغفرون لمن في الارض اى للمؤمنين منهم كقوله ويستغفرون الذين امنوا خوفا عليهم من سطواته او يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات حامدين له على ما اولاهم من الطافة متعجبين مما رأوا من تعرضهم لسخط الله تعالى ويستغفرون لمؤمنى اهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة او يطلبون الى ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب الا ان الله هو الغفور الرحيم لهم والذين اتخذوا من دونه اولياء اى جعلوا له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على اقوالهم واعمالهم لا يفوته منها شىء فيجازيهم عليها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل عليهم و مفوض اليك امرهم انما انت منذر فحسب وكذلك ومثل ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الاية التى قبلها من ان الله رقيب عليهم لا انت بل انت منذر لان هذا المعنى كرره الله في كتابة او هو مفعول به لاوحينا قرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحينا اليك وهو قران عربى بين لتنذر ام القرى اى مكة لان الارض دحيت من تحتها او لانها اشرف البقاع والمراد اهل ام القرى ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة لان الخلائق تجتمع فيه لا ريب فيه اعتراض لا محل له يقال انذرته كذا وانذرته بكذا وقد عدى لتنذر ام القرى الى المفعول

ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير (8) أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (9) وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب (10) فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع

الشورى 11 - 7
الاول وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني فريق في الجنة وفريق في السعير اى منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة اى مؤمنين كلهم ولكن بدخل من يشاء في رحمته اى يكرم من يشاء بالاسلام والظالمون والكافرون ما لهم من ولى شافع ولا نصير دافع ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولى الفاء لجواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولى سواء ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولى بالحق وهو الذى يجب ان يتولى وحده لاولى سواه وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا دون من لا يقدر على شىء وماختلفتم فيه من شىء حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اى ما خالفتكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكمه اى حكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثبات المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم الحاكم بينكم الله ربى عليه توكلت فيه رد كيد اعداء الدين واليه انيب ارجع في كفاية شرهم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح وغيره فاطر السموات والأرض ارتفاعه على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدا محذوف جعل لكم من انفسكم خلق لكم منن جنسكم من الناس ازواجا ومن الانعام ازواجا اى وخلق للانعام ايضا من انفسها ازواجا يذرؤكم يكثركم يقال ذرا الله الخلق بثهم وكثرهم فيه في هذا التدبير وهو ان جعل الناس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل واختير فيه على به لانه جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا في المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل ليس كمثله شىء قيل ان كلمة التشبية كررت لتاكيد نفى التماثل وتقديره ليس مثله شىء وقيل المثل زيادة وتقديره ليس كهو شىء كقوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به وهذا لان المراد نفى المثليه واذا لم تجعل الكاف او المثل زيادة كان اثبات المثل وقيل المراد ليس كذاته شىء لانهم يقولون مثلك لا يبخل يريدون به نفى

البخل عن ذاته ويقصدون المبالغة في ذلك بسلوك طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن بسد مسدد فقد نفوه

له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (12) شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب (13) وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (14)

الشورى 14 - 11
عنه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شىء وبين قوله ليس كمثله شىء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته ونحوه بل يداه مبسوطتان فمعناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود حتى انهم استعملوها فيمن لا يدله فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له وهو السميع لجميع المسموعات بلا اذن البصير لجميع المرئيات بلا حدقة وكانه ذكرهما لئلا يتوهم انه لا صفة له كما لا مثل له له مقاليد السموات والارض مر فى الزمر يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق انه بكل شىء عليم شرع بين واظهر لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما اوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد وما بينهما من الانبياء عليهم السلام ثم فسر المشروع الذى اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله ان اقيموا الدين والمراد اقامة دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون المرء باقامته مسلما وبم يرد به الشرائع فانها مختلفة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او رفع على الاستئناف كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين الا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في الدين قال علي رضى الله عنه لا تتفرقوا فالجماعة رحمة والفرقة عذاب كبر على

المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من اقامة دين الله والتوحيد الله يجتبى يجلب ويجمع اليه الى الدين بالتوفيق والتسديد من يشاء ويهدى اليه من ينيب يقبل على طاعته وما تفرقوا اى اهل الكتاب بعد انبيائهم الا من بعد ما جاءهم العلم الا من بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وامر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم السلام بغيا بينهم حسدا وطلبا للرياسة والاستطالة بغير حق ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى وهى بل الساعة موعدهم لقضى بينهم لاهلكوا حين اقترفوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفى شك منه من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان مريب مدخل في الريبة وقيل وما تفرق اهل

فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير (15) والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد (16) الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب (17)

الشورى 17 - 15
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القران من بعد ما اورث اهل الكتاب التوارة والانجيل فلذلك فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا فادع الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القوية واستقم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرت كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم المختلفة الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب بأى كتاب صح ان الله تعالى انزله يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض كفوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا وامرت لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى الله ربنا وربكم اى كلنا عبيده لنا أعمالنا

ولكم اعمالكم هو كفوله لكم دينكم ولى دين ويجوز ان يكون معناه انا لا نؤاخذ باعمالكم وانتم لا تؤاخذون باعمالنا لا حجة بيننا وبينكم اى لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته الله يجمع بيننا يوم القيامة واليه المصير المرجع لفصل لاقضاء فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم والذين يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعدما استجيب له من بعدما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم واولى بالحق وقيل من بعد فاستجيب لمحمد عليه السلام دعاؤه على المشركين يوم بدر حجتهم داحضة باطلة وسماها حجة وان كانت شبهة لزعمهم انها حجة عند ربهم وعليهم غضب بكفرهم ولهم عذاب شديد في الاخرة الله الذى انزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق بالصدق او ملتبسا به والميزان والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل انه انزل في كتبه المنزلة وقيل هو عين الميزان انزله في زمن نوح عليه السلام وما يدريك لعل الساعة قريب اى لعل الساعة تقريب منك وانت لا تدرى والمراد مجىء

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد (18) الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز (19) من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب (20) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم (21)

الشورى 21 - 18
الساعة والساعة في تاويل لابعث ووجه مناسبة اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع فاعملوا بالكتاب والعدل قبل ان يفاجئكم يوم حسابكم ووزن

اعمالكم يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون خائفون منها وجلون لهولها ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة المماراة الملاحة لان كل واجدة منهما يرى ما عند صاحبه لفى ضلال بعيد عن الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لا بد من دار جزاء الله لطيف بعباده في ايصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف ادراكه وهو بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وقيل هو من لطف بالغوامض علمه وعظم عن الجرائم حلمه او من ينشر المناقب ويستر المثالب او يعفو عمن يهفو او يعطى العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعة دون الطاعة وعن الجنيد لطف باوليائه فعرفوه ولو لطف باعدائه ما جحدوه يرزق من يشاء اى يوسع رزق من يشاء اذا علم مصلحته فيه في الحديث ان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وهو القوى الباهر القدرة الغالب على كل شى ء العزيز المنيع الذى لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة سمى ما يعمله العامل مما يبتغى به الفائدة حرثا مجازا نزد له في حرثه بالتوفيق في عمله او التضعيف في احسانه او بان ينال به الدنيا والاخرة ومن كان يريد حرث الدنيا اى من كان عمله للدنيا ولم يؤمن بالاخرة يؤته منها اى شيئا منها لان من للتبعيض وهو رزقه الذى قسم له لا ما يريد ويبتغيه وماله في الاخرة من نصيب وماله نصيب قط في الاخرة وله في الدنيا نصيب ولم يذكر في عامل الآخرة ان رزقه المقسوم يصل اليه للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب ام لهم شركاء قيل هى ام المنقطعة وتقديره بل الهم شركاء وقيل هى المعادلة لالف الاستفهام وفى الكلام اضمار تقديره ايقبلون ما شرع الله من الدين ام لهم الهة شرعوا لهم من الدين مالم ياذن به الله اى لم يأمر به ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتاجيل الجزاء اى ولولا العدة بان الفصل يكون يوم

ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير (22) ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى

ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور (23)

الشورى 23 - 21
اليم
القيامة لقضى بينهم بين الكافرين والمؤمنين او لعجلت لهم العقوبة وان الظالمين لهم عذاب اليم وان المشركين لهم عذاب اليم في الاخرة وان اخر عنهم في دار الدنيا ترى الظالمين المشركين في الاخرة مشفقين خائفين مما كسبوا من جزاء كفرهم وهو واقع بهم نازل بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات كان روضة جنة المؤمن اطيب بقعة فيها وانزهها لهم ما يشاءون عند ربهم عند نصب بالظرف لا بيشاءون ذلك هو الفضل الكبير على العمل القليل ذلك اى الفضل الكبير الذى يبشر الله يبشر مكى وابو عمرو وحمزة وعلي عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات اى به عبادة الذين امنوا فحذف الجار كفولة واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله اهذا الذى بعث الله رسولا ولما قال المشركون ايبتغى على تبليغ الرسالة اجرا نزل قل لا اسالكم عليه على التبليغ اجر الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء متصلا اى لا اسالكم عليه اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ويجوز ان يكون منقطعا اى لا اسالكم اجرا قط ولكنى اسالكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ولم يقل الا مودة القربى او المودة للقربى لانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كفولك لي في ال فلان موة ولى فيهم حب شديد تريد احبهم وهم مكان حبى ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هى متعلقة بمحذوف تعلق الرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروى انه لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وقل معناه الا ان تودونى لقرابتي فيكم ولا تؤذونى ولا تهيجوا على اذ لم يكن من بطون قريش الا رسول الله وبينهم قرابة وقيل القربى التقرب الى الله تعالى اى الا ان تحبوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح ومن يقترف حسنة يكتسب طاعة عن السدى انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت في ابى بكر رضى الله عنه

ومودته فيهم والظاهر العموم في اى حسنة كانت الا انها تتناول المودة تناولا اوليا لذكرها عقيب ذكر المودة في القربى نرد له فيها حسنا اى نضاعفها كقوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرىء

أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور (24) وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون (25) ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد (26)

الشورى 26 - 23
شكور
حسنى وهو مصدر كالبشرى والضمير يعود الى الحسنة او الى الجنة ان الله غفور لمن اذنب بطوله شكور لمن اطاع بفضله وقيل قابل للتوبة حامل عليها وقيل الشكور في صفة الله تعالى عبارة عن الاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل عن المثاب ام يقولون افترى على الله كذبا ام منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كانه قيل اينما لكون ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها فان يشأ الله يختم على قلبك قا ل مجاهد أي يربط على قلبك بالصبر على اذاهم وعلى قولهم افترى على الله كذبا لئلا تدخله مشقة في تكذيبهم ويمح الله الباطل اى الشرك وهو كلام مبتدأ غير معطوف على يختم لان محو الباطل غير متعلق بالشرط بل هو وعد مطلق دليله تكرار اسم الله تعالى ورفع ويحق وانما سقطت الواو في الخط كما سقطت في ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وسندع الزبانية على انها مثبتة في مصحف نافع ويحق الحق ويظهر الاسلام ويثبته بكلماته بما انزل من كتابة على لسان نبيه عليه السلام وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم واظهر الاسلام انه عليم بذات الصدور اى عليم بما في صدرك وصدورهم فيجزى الاجر على حسب ذلك وهو الذى يقبل التوبة عن عبادة يقال قبلت منه الشىء اذا اخذته منه وجعلته مبدا قبولى ويقال قبلته عنه اى عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن القبيح والاحلال بالواجب بالندم عليهما

والعزم على ان لا يعود وان كان لعبد فيه حق لم يكن بد من التقصى على طريقة وقال علي رضى الله عنه هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها ف المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء يدل كل ضحك ضحكته وعن السدى هو صدق العزيمة على ترك الذنوب والانابة بالقلب الى علام الغيوب وعن غيره هو ان لا يجد حلاوة الذنب في القلب عند ذكره وعن سهل هو الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة وعن الجنيد هو الاعراض عما دون الله ويعفو عن السئيات وهو مادون الشرك يعفو لمن يشاء بلا توبة ويعلم ما تفعلون بالتاء كون غير ابى بكر اى من التوبة والمعصية ولا وقف عليه للعطف عليه واتصال المعنى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله اى اذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم واستجاب واجاب بمعنى والسين في مثله لتوكيد الفعل كقولك تعظم واستعظم والتقدير ويجيب الله الذين امنوا وقيل معناه ويستجيب للذين فحذف اللام من عليهم بان يقبل توبتهم اذا تابوا

ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير (27) وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد (28) ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (29) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (30)

الشورى 30 - 26
شديد
ويعفو عن سياتهم ويستجيب لهم اذا دعوه ويزيدهم على ما سالوه وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعوه فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه والكافرون لهم عذاب شديد في الاخرة ولو بسط الله الرزق لعباده اى لو اغناهم جميعا لبغوا في الارض من البغى وهو الظلم اى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة او من البغى وهو الكبر اى

لتكبروا في الارض ولكن ينزل بالتخفيف مكى وابو عمرو بقدر ما يشاء بتقدير يقال قدره فدرا وقدرا انه بعباده خبير بصير يعلم احوالهم فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وما ترى من البسط على من يبغى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغى مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وهو الذى ينزل الغيث بالتشديد مدنى وشامى وعاصم من بعدما قنطوا وقرىء قنطوا وينشر رحمته اى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وقيل لعمر رضى الله عنه اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا اراد هذه الاية او اراد رحمته في كل شىء وهو الولى الذى يتولى عباده باحسانه الحميد المحمود على ذلك يحمده اهل طاعته ومن اياته اى علامات قدرته خلق السموات والارض مع عظمها ومابث فرق وما يجوز ان يكون مرفوعا ومجرورا حملا عل المضاف او المضاف اليه فيهما من السموات والارض من دابة الدواب تكون في الارض وحدها لكن يجوز ان ينسب الشى الى جميع الذكور وان كان متلبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيدو انما هو في فخذ من افخاذهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانات يمشون فيها مشى الاناسى على الارض او يكون للملائكة مشى مع الطيران فوصفوا بالدبيب كما وصف به الاناسى وهو على جمعهم يوم القيامة اذا يشاء قدير اذا تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى قال الله تعالى والليل اذا يغشى وما اصابكم من مصيبة غم والم ومكروه فيما كسبت ايديكم اى بجناية كسبتموها عقوبة عليكم بما كسبت بغير الفاء مدتى وشامى على ان ما مبتدأ وبما كسبت خبره من غير تضمين معنى الشرط ومن اثبت الفاء فعلى تضمين معنى الشرط وتعلق بهذه الاية من يقول بالتناسخ وقال لو لم يكن للاطفال حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة لم تألموا وقلنا الاية

وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (31) ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام (32) إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (33) أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير (34) ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص (35) فما أوتيتم من شيء

فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (36) والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون (37)

الشورى 37 - 30
مخصوصة المكلفين بالسباق والسياق وهو ويعفوا عن كثير اى من الذنوب فلا يعاقب عليه او عن كثير من الناس فلا يعالجهم بالعقوبة وقال ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه ولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وقال محمد بن حامد العبد ملازم للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعته اكثر من جناياته في معاصيه لان جنية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته انواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيامه ولولا عفوه ورحمته لهلك في اول خطوة وعن علي رضى الله عنه هذه ارجى اية للمؤمنين في القران لان الكريم اذا عاقب مرة لا يعاقب ثانيا واذا عفا لا يعود وما انتم بمعجزين في الارض اى بفائتين ما قضى عليكم من المصائب ومالكم من دون الله من ولى متول بالرحمة ولا نصير ناصر يدفع عنكم العذاب اذا حل بكم ومن اياته الجوار جمع جارية وهى السفينة الجوارى في الحالين مكى وسهل ويعقوب وافقهم مدنى وابو عمر وفي الوصل في البحر كالاعلام كالجبال ان يشأ يسكن الريح الرياح مدنى فيظللن رواكد ثوابت لا تجرى على ظهره على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه اى لكل مؤمن مخلص فالايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر او صبار على طاعته شكور لنعمته او بوبقهن يهلكهن فهو عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها بما كسبوا من الذنوب ويعف عن كثير منها فلا يجازى عليها وانما العفو في حكم الابباق حيث جزم جزمه لان المعنى او ان يشا يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم ويعلم بالنصب عطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون في اياتنا اى في ابطالها ودفعها و يعلم مدنى وشامى على الاستئناف ما لهم من محيص مهرب من عذابه فما اوتيتم من شىء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله من الثواب خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفا في جوابها بخلاف الثانية نزلت في

ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين تصدق بجميع ماله فلامه الناس والذين يجتنبون عطف على الذين امنوا وكذا ما بعده كبائر الاثم اى الكبائر من هذا الجنس كبير الاثم علي وحمزة وعن ابن عباس كبير

والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (38) والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (39) وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين (40) ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (41) إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (42) ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور (43)

الشورى 42 - 37
يغفرون
الاثم هو الشرك والفواحس قيل ما عظم قبحه فهو فاحشة كالزنا واذا ما غضبوا من امور دنياهم هم يغفرون اى هم الاخصاء بالغفران في حال الغضب والمجىء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائد ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان امنوا به واطاعوه واقاموا الصلاة واتموا الصلوات الخمس وامرهم شورى بينهم اى ذو شورى لا يتفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون والذين اذا اصابهم البغى الظلم هم ينتصرون ينتقمون ممن ظلمهم اى يقتصرون في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون وكانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترىء عليهم الفساق وانما حمدوا على الانتصار لان من انتصر واخذ حقه ولم يجاوز في ذلك حلى الله فلم يسرف في القتل ان كان ولى دم فهو مطيع لله وكل مطيع محمود ثم بين حد الانتصار فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها فالاولى سيئة حقيقة والثانية لا وانما سميت سيئة لانها مجازاة السوء او لانها تسوء من تنزل به ولانه لو لم تكن الاولى لكانت الثانية سيئة لانها اضرار وانما صارت حسنة لغيرها او تسمية الثانية سيئة اشارة الى ان العفو مندوب اليه

والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان تقابل بمثلها من غير زيادة فمن عفا واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والأغضاء فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها في العظيم انه لا يحب الظالمين الذين يبدءون بالظلم او الذين يجاوزون حد الانتصار في الحديث ينادى مناد يوم القيامة من كان له اجر على الله فليقم فلا يقوم الا من عفا ولمن انتصر بعد ظلمه اخذ حقه بعدما ظلم على اضافة المصدر الى المفعول فاولئك اشارة الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للمعاتب والمعايب انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدءونهم بالظلم ويبغون في الارض يتكبرون فيها ويعلمون ويفسدون بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم وفسر السبيل بالتبعة

ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل (44) وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (45) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل (46) استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير (47) فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور (48)

الشورى 48 - 43
والحجة ولمن صبر على الظلم والاذى وغفر ولمن ينتصر ان ذلك اى الصبر والغفران منه لمن عزم الامور اي من الأمور التي ندب اليها او مما ينبغى ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه وحذف الراجع اى منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم وقال ابو سعيد القرشى الصبر على المكاره من علامات الانبياء فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع اورثه الله تعالى حال الرضا وهو اجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكله الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده فماله من احد يلى هدايته من بعد اضلال الله اياه ويمنعه من عذابه

وترى الظالمين يوم القيامة لما راوا العذاب حين يرون لا عذاب واختير لفظ الماضى للتحقيق يقولون هل الى مرد من سبيل يسالون ربهم الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا به وتراهم يعرضون عليها على النار اذ العذاب يدل عليها خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون الى النار من طرف خفى ضعيف بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة يوم متعلق بخسروا وقول المومنين واقع في الدنيا او يقال اى يقولون يوم القيامة اذ راوهم على تلك الصفة الا ان الظالمين في عذاب مقيم دائم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله من دون عذابه ومن يضلل الله فما له من سبيل الى النجاة استجيبوا لربكم اى اجيبوه الى ما دعاكم اليه من قبل ان يأتى يوم اى يوم القيامة لا مرد له من الله من يتصل بلا مرد اى لا يرده الله بعد ما حكم به او بيأتى اي من قبل ان يأتى من الله يوم لا يقدر احد على رده مالكم من ملجأ يؤمئذ ومالكم من نكير اى ليس لكم مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا ما اقترفتموه ودون في صحائف اعمالكم والنكير الانكار فان اعرضوا عن الايمان فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا

لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (49) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير (50) وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم (51) وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (52) صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور (53)

الشورى 51 - 48
ان عليك الا البلاغ ما عليك الا تبليغ الرسالة وقد فعلت وانا ا ذا اذقنا الانسان المراد الجمع لا الواحد منا رحمة نعمة وسعة وامنا وصحة فرح بها بطر لاجلها وان تصبهم سيئة بلاء كالمرض والفقر ونحوهما وتوحيد فرح باعتبار اللفظ والجمع في ان تصبهم باعتبار المعنى بما

قدمت ايديهم بسبب معاصيهم فان الانسان كفور ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار والكفور البليغ الكفران والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها قيل اربد به كفران النعمة وقيل اريد به الكفر بالله تعالى لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم اى يقرنهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ان له تعالى الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من الاولاد ما يشاء فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويجعل البعض عقيما والعقيم التى لا تلد كذلك رجل عقيم الا اذا كان لا يولد له وقدم الاناث اولا على الذكور لان سياق الكلام انه فاعل لما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى من جملة مالا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما اخر الذكور وهم احقاء بالتقديم تدارك تأخيرهم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لنقدمهن ولكنن لمقتض آخر فقال ذكرانا واناثا وقيل نزلت في الانبياء عليهم السلام حيث وهب لوط وشعيب اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمحد صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى و عيسى عليهما السلام عقيمين انه عليم بكل شىء قدير قادر على كل شىء وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا وحيا اى الهاما كما روى نفث فى زوعى او رؤيا في المنام كقوله عليه السلام رؤيا الانبياء وحى وهو كأمر ابراهيم عليه السلام بذبح الولد او من وراء حجاب اى يسمع كلاما من الله كما سمع موسى عليه السلام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وليس المراد به حجاب الله تعالى لان الله تعالى لا يجوز عليه ما يجوز على الاجسام من الحجاب ولكن المراد به ان لاسامع محجوب عن الرؤية في الدنيا او يرسل رسولا اى يرسل ملكا فيوحى اى الملك اليه قيل وحيا كما اوحى الى الرسل

حم (1) والكتاب المبين (2)

الشورى 53 - 51
الزخرف 3 - 1
باذنه ما يشاء انه على حكيم
سورة الزخرف
بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتب المبين انا جعلنه قرءنا عربيا
بواسطة الملائكة او يرسل رسولا اى نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون المعنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا بان يوحى او ان يسمع من وراء حجاب او ان يرسل رسولا وهو اختيار الخليل او يرسل رسولا فيوحى بالرفع نافع على تقدير او هو يرسل باذنه اذن الله ما يشاء من الوحى انه على قاهر فلا يمانع حكيم مصيب في اقواله وافعاله فلا يعارض وكذلك اى كما اوحينا الى الرسل قبلك او كما وصفنا لك اوحينا اليك ايحاء كذلك روحا من امرنا يريد ما اوحى اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح ما كنت تدرى الجملة حال من الكاف في اليك ما الكتاب القران ولا الايمان اى شرائعه او ولا الايمان بالكتاب لانه اذا كان لا يعلم بان الكتاب ينزل عليه لم يكن عالما بذلك الكتاب وقيل الايمان يتناول اشياء بعضها الطرق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحى ولكن جعلناه اى الكتاب نور انهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى لتدعو وقرى ء به الى صراط مستقيم الاسلام صراط الله بدل الذى له ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا الا الى الله تصير الامور هو وعيد بالجحيم ووعد بالنعيم والله اعلم بالصواب
سورة الزخرف تسع وثمانون اية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب المبين وهو القران وجعل قوله انا جعلناه صيرناه قرانا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه والمبين

إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (3) وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم (4) أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين (5) وكم أرسلنا من نبي في الأولين (6) وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزؤون (7) فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين (8) ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم (9) الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون (10) والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون (11)

الزخرف 11 - 4
البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم او الواضح للمتدبرين او الذى ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان كل ما تحتاج اليه الامة في ابواب الديانة لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه في ام الكتاب لدينا وان القران مثبت عند الله في اللوح المحفوظ دليله قوله بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وسمى ام الكتاب لانه الاصل الذى اثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ ام الكتاب بكسر الالف علي وحمزة لعلى خبران اى في اعلى طبقات البلاغة او رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينا حكيم ذو حكمة بالغة ا فنضرب عنكم الذكر افننحى عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضر عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وجعله قرآنا عربيا ليعقلوه وليعملوا بمواجبه صفحا مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القران والزام الحجة به اعراضا عنكم ويجوز ان يكون مصدرا على خلاف المصدر لانه يقال ضربت عنه اى اعرضت عنه كذا قاله الفراء ان كنتم لان كنتم مدنى وحمزة وهو من الشرط الذى يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجيران كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك قوما مسرفين مفرطين في الجهالة مجاوزين الحد في الضلالة وكم ارسلنا من نبى في الاولين اى كثيرا من الرسل ارسلنا الى من تقدمك وما ياتيهم من نبى الا كانوا به يستهزءون هى حكاية حا ل ماضيه مستمرة اى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا تمييز

والضمير للمسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم ومضى مثل الاولين اى سلف في القران في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم ولئن سالتهم اى المشركين ن خلق السموات والارض ليقولن خلقهن ا لعزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا كوفى وغيره مهادا اى موضع قرار وجعل لكم فيها سيلا طرقا لعلكم تهتدون لكى تهتدوا في اسفاركم والذى نز ل من السماء ما بقدر بمقدار

والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون (12) لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (13) وإنا إلى ربنا لمنقلبون (14) وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين (15) أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (16)

الزخرف 16 - 11
تسلم معه العباد ويحتاج إليه البلاد فانشرنا فأحيينا عدول من المغايبة إلى الاخبار لعلم المخاطب بالمراد به بلدة ميتا يزيد ميتا كذلك تخرجون من قبوركم أحياء تخرجون حمزة وعلى ولا وقف على العليم لأن الذى صفته وقد وقف عليه أبو حاتم على تقديره هو الذى لأن هذه الأوصاف ليست من مقول الكفار لأنهم ينكرون الاخراج من القبور فكيف يقولون كذلك تخرجون بل الآية حجة عليهم في انكار البعث والذى خلق الازواج الأصناف كلها وجعل من الفلك والأنعام ما تركبون أى تركبونه يقال ركبوا في الفلك وركبوا الأنعام فغلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه لتستووا على ظهوره على ظهور ما تركبونه وهو الفلك والأنعام ثم تذكروا بقلوبكم نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا بألسنتكم سبحان الذى سخر لنا هذا ذال لنا هذا المركوب وما كنا له مقرنين مطيقين يقال أقرن الشيء إذا أطاقه وحقيقة اقرنه وجده قرينته لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف وانا إلى ربنا لمنقلبون لراجعون في المعاد قيل يذكرون عند ركوبهم مراكب الدنيا آخر مركبهم منها هو الجنازة وعن النبى ص - إنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم

الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا غلى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا إذا ركب في السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم وحكى أن قوما ركبوا وقالوا سبحان الذى سخر لنا هذا الآية وفيهم رجل على ناقة لا تتحرك هزالا فقال انى مقرن لهذه فسقط منها لو ثبتها واندقت عنقه وينبغي أن لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده أنه هالك لا محالة ومنقلب إى الله غير منفلت من قضائه وجعلوا له من عباده جزأ متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سالتهم عن خالق السموات والأرض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أى قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد جزأ لوالده جزأ أبو بكر وحماد ان الإنسان لكفور مبين لجحود للنعمة ظاهر جحوده لأن نسبة الولد إليه كقر والكفر أصل الكفر ان كله أم اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين أى بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا وتعجيا من شأنهم حيث ادعوا أنه اختار لنفسه المنزلة الأدني ولهم

وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم (17) أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين (18) وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون (19) وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون (20)

الزخرف 20 - 16
الاعلى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذى جعله له مثلا اى شبها لانه اذا جعل الملائكة جزا لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد ظل وجهه مسودا وهو كظيم يعنى انهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتاسفا وهو مملوء من الكرب والظلول بمعنى الصيرورة او من ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين اى او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفقه وهو انه ينسشأ في الحلية اى يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال

كان غير مبين ليس عنده بيان ولا ياتى ببرهان وذلك لضعف عقولهن قال مقاتل لا تتكلم المراة الا وتاتى بالحجة عليها وفيه انه جعل النشأة في الزينة من المعايب فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى ومن منصوب المحل والمعنى او جعلوا من ينشأ في الحلية يعنى البنات لله عزل وجل ينشأ حمزة وعلى وحفص اى يربى قد جمعوا في كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة المكرمين فاستخفوا بهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى سمعوا وقالوا انهم اناث عند الرحمن مكى ومدنى وشامى اى عندية منزلة ومكانة لا منزل ومكان والعباد جمع عبد وهو الزم في الحجاج مع اهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد اشهدوا خلقهم وهذا تهكم بهم يعنى انهم يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم ولم يشاهدوا خلقهم حتى يخبروا عن المشاهدة ستكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسئلون عنها وهذا وعيد وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى الملائكة تعلقت المعتزلة بظاهر هذه الاية في ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا ان الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصناف حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى لو شاء منا ان نترك عبادة الاصنام لمنعنا عن عبادتها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم واعتقادهم بقوله ما لهم بذلك القول من علم ان هم الا يخرصون اى يكذبون ومعنى الاية عندنا انهم ارادوا بالمشيئة الرضا وقالوا لو لم يرض بذلك لعجل عقوبتنا او لمنعنا عن عبادتها منع قهر واضطرار واذ لم يفعل ذلك فقد رضى بذلك فرد الله تعالى عليهم بقوله ما لهم بذلك من علم الاية

أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون (21) بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون (22) وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (23) قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون (24) فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين (25) وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون (26) إلا الذي فطرني فإنه سيهدين (

27)

الزخرف 27 - 21
اوقالوا هذا القول استهزاء لاجدا واعتقادا فاكذبهم الله تعالى فيه وجهلهم حيث لم يقولوا عن اعتقاد كما قال مخبرا عنهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه وهذا حق في الاصل ولكن لما قالوا ذلك استهزاء كذبهم الله بقوله ان انتم الا في ضلال مبين وكذلك قال الله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يقولوه عن اعتقاد وجعلوا المشيئة حجة لهم فيما فعلوا باختيارهم وظنوا ان الله لا يعاقبهم على شىء فعلوه بمشيئته وجعلوا وجعلوا انفسهم معذورين في ذلك فرد الله تعالى عليهم ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القران او من قبل قولهم هذا فهم به مستمسكون اخذون عاملون وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره اشهدوا خلقهم ام اتيناهم كتابا من قبله فيه ان الملائكة اناث بل قالوا بل لا حجة لهم يتمسكون بها لا من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع الا قولهم انا وجدنا اباءنا على امة على دين فقلدناهم وهى من الام وهو القصد فالامة الطريقة التى تؤم اى تقصد وانا على اثارهم مهتدون الظرف صلة لمهتدون اوهما خبران وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير نبي الا قال مترفوها اى متنعموها وهم الذين اترفتهم النعمة اى ابطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وبيان ان تقليد الاباء داء قديم قال شامى وحفص اى النذير قل غيرهما اى قيل للنذير قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اى اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون انا ثابتون على دين ابائنا وان جئتنا بما هو اهدى واهدى فانتقمنا منهم فعاقبناهم بما استحقوه على اصرارهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اى واذكر اذ قال اننى براء اى برىء وهو مصدر يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث كما تقول رجل عدل وامراة عدل وقوم عدل والمعنى ذو وذات عدل مما تعبدون الا الذى فطرنى استثناء منقطع كانه قال لكن الذى فطرنى فانه سيهدين يثبتنى على الهداية وجعلها

وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون (28) بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين (29) ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون (30) وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (31) أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون (32) ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون (33)

الزخرف 33 - 28
وجعل ابراهيم عليه السلام كلمة التوحيد التى تكلم بها وهى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى كلمة باقية في عقبة في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم والترجى لابراهيم بل متعت هؤلاء واباءهم يعنى اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر النعمة فاعتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد حتى جاءكم الحق القران ورسوله اى محمد عليه السلام مبين واضح الرسالة بما معه من الايات البينة ولما جاءهم الحق القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا فيه متحكمين بالباطل لولا نزل هذا القران فيه استهانة به على رجل من القريتين عظيم أي رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما والقريتان مكة والطائف وعنوا بعظيم مكه الوليد بن المغيرة وبعظيم الطائف عروة بن مسعود الثقفى وأرادوا بالعظيم من كان ذا مال وذا جاه ولم يعوفوا أن العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمت ربك أى النبوة الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من تحكمهم في اختيار من يصلح للنبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم ما يعيشون به وهو أرزاقهم في الحيوة الدنيا أي لم نجعل قسمة الا دون اليهم وهو الرزق فكيف النبوة او كما فضلت البعض على البعض في الرزق فكذا اخص بالنبوة من اشاء ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اى جعلنا البعض أقوياء وأغنياء وموالى والبعض ضعفاء وفقراء وخدماء ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم

ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويصلوا إلى منافعهم هذا بماله وهذا بأعماله ورحمت ربك أي النبوة أو دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمعون مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا ولما قلل أمر الدنيا وصغرها اردفه بما يقرر قلة الدنيا عنده فقال ولولا أن يكون الناس امة واحدة ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة الدنيا عندنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج

ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤون (34) وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين (35) ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (36) وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون (37) حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين (38) ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون (39)

الزخرف 39 - 34
عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا أي لجعلنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أي زينة من كل شىء والزخرف الذهب والزينة ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف أي بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة لبيوتهم بدل اشتمال من لمن يكفر سقفا على الجنس مكى وأبو عمرو ويزيد والمعارج جمع معرج وهى المصاعد إلى العلالى علها يظهرون على المعارج يظهرون السطوح أى يعلونها واوكل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ان نافية ولما بمعنى الا أى وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا وقد قرىء به وقرأ لما غير عاصم وحمزة على ان اللام هى الفارقة بين أن المخففة والنافية وما صلة أي وأن كل ذ لك لمتاع الحياة الدنيا والاخرة اى ثواب الاخرة عند ربك للمتقين لمن يتقى الشرك ومن يعش وقرىء ومن يعش والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل عشى يعشى واذا نظر العشى ولا آفة به قيل عشا يعشو ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم عن تذ كر الرحمن وهو القران كقوله صم بكم عمى ومعنى القراءة بالضم ومن يتعام عن ذكره اى يعرف انه الحق وهو يتجاهل

كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا فهو له قرين قال ابن عباس رضى الله عنهما نسلطه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحمله على المعاصى وفيه اشارة إلى ان من داوم عليه لم يقرنه الشيطان وانهم أي الشياطين ليصدونهم ليمنعون العاشين عن السبيل عن سبيل الهدى ويحسبون أي العاشون انهم مهتدون وانما جمع ضمير من وضمير الشيطان لأن من مبهم في جنس العاشى وقد فيض له شيطان مبهم في جنسه فجاز أ يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا على الواحد عراقى غير أبى بكر أي العاشى جاآنا غيرهم اى العاشى وقرينه قال لشيطانا يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين يريد المشرق وامغرب فغلب كما قيل العمران والقمران والمراد بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اذ صح ظلمكم أي كفركم وتبين لم يبق لكم ولا لاحد شبهة في أنكم كنتم ظالمين واذ بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون انكم في محل الرفع على الفاعلية أي ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب او كونكم مشتركين في العذاب كما كان عموم البلوى يطيب القلب في الدنيا كقول الخنساء

أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين (40) فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون (41) أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون (42) فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم (43) وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون (44) واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (45) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين (46)

الزخرف 46 - 40

... ولولا كثرة الباكين حولى على اخوانهم لقتلت نفسي ...

... ولا يبكون مثل اخى ولكن اعزى النفس عنه بالتأسى ...

اما هؤلاء فلا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروجهم لعظم ماهم فيه وقيل الفاعل مضمر اى ولن ينفعكم هذا التمنى او الاعتذار لانكم في العذاب مشتركون لاشتراككم في سببه وهو الكفر ويؤيده قراءه من قرأ بالكسر أفأنت تسمع الصم اى من فقد سمع القبول او تهدى

العمى اى من فقد البصر ومن كان في ضلال مبين ومن كان في علم الله انه يموت على الضلال فاما دخلت ما على أن توكيدا للشرط وكذا النون الثقيلة في نذهبن بك أي نتوفينك قبل أن ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون أشد الانتقام في الآخرة أو ترينك الذى وعدناهم قبل أن نتوفينك يعنى يوم بدر فانا عليهم مقتدرون قادرون وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال بقوله أفأنت تسمع الصم الآية ثم أوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة بقوله فاما نذهبن بك الآيتين فاستمسك فتمسك بالذى أوحى إليك وهو القرآن واعمل به إنك على صراط مستقيم اى على الدين الذى لا عوج له وانه وان الذى أوحى إليك لذكر لك لشرف لك ولقومك ولأمتك وسوف تسئلون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وعن شكركم هذه النعمة واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ليس المراد بسوال الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط فى ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظر او فحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها وقيل انه عليه السلام جمع له الأنبياء ليلة الاسراء فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من ارسلنا وهم أهل الكتابين أي التوراة والانجيل وإنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الاوثان انهم على الباطل وسل بلا همزة مكى وعلى رسلنا أبو عمرو ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ولقد ارسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه

فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون (47) وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون (48) وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون (49) فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون (50) ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون (51)

الزخرف 51 - 46
فقال إنى رسول رب العالمين ما اجابوه به عند قوله إني رسول رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم إياه باحضار البينة على دعواه وإبراز الآية إذا هم منها يضحكون يسخرون منها ويهزءون بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة وهو جواب فلما لأن فعل المفأجاة معها مقدر وهو عامل النصب في محل إذا كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها قرينتها وصاحبتها التى كانت قبلها في نقض العادة وظاهر النظم يدل على أن اللاحقة أعظم من السابقة وليس كذلك بل المراد بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر ولا يكدن يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس يقال هما أخوان كل واحد منهما اكرم من الآخر واخذناهم بالعذاب وهو ما قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسلنا عليهم الطوفان الآية لعلهم يرجعون عن الكفر الى الايمان وقالوا يا أيه الساحر كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم على السحر يا ايه الساحر بضم الهاء بلا ألف شامى ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف فلما سقطت لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندكك من ان دعوتك مستجابة او بعهدة عندك وهو النبوة او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى اننا لمهتدون مؤمنون به فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ينقضون العهد بالايمان ولا يفون به ونادى فرعون نادى بنفسه عظماء القبط أو أمر مناديا فنادى كقولك قطع الأمير اللص اذا أمر بقطعه في قومه جعلهم محلا لندائه وموقعا له قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار أي أنهار النيل ومعظمها أربعة تجرى من تحتى من تحت قصرى وقيل بين يدى في جنائي والواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها أو الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر للمبتدأ وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها اخس عبيدى فولاها الخصيب وكان خادمة على وضوئه وعن عبدالله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال أهى القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن ادخلها فثنى عنانه أفلا تبصرون فوتى وضعف موسى

أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين (52) فلولا ألقي عليه

أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين (53) فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين (54) فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين (55) فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين (56) ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون (57)

الزخرف 57 - 52
وغناى وفقره ام انا خير ام منقطعة بمعنى بل والهمزة كانه قال أثبت عندكم واستقر انى انا خير وهذه حالى من هذا الذى هو مهين ضعيف حقير ولا يكاديبين الكلام لما كان به من الرته فلولا فهلا ألقى عليه أسورة حفص ويعقوب وسهل جمع سوار غيرهم أساورة جمع اسورة وأساوير جمع اسوار وهو السوار حذف الياء من اساوير وعوض منها التاء من ذهب اراد بالفاء الأسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لأنهم كانوا اذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقو بطوق من ذهب أوجاء معه الملائكة مقرنين يمشون معه يقترن بعضهم ببعض ليكونوا أعضاده وأنصاره وأعوانه فاستخفف فقومه استفزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة والطاعة وهي الاسراع فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن دين الله فلما اسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين آسف منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه ومعناه أنهم أفرطوا في المعاصى فاستوجبوا ان يعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا نحلم عنهم فجعلناهم سلفا جمع سالف كخادم وخدم سلفا حمزة وعلى جمع سليف اى فريق قد سلف ومثلا وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يضرب بهم الامثال ويقال مثلكم مثل قوم فرعون للآخرين لمن يجىء بعدهم ومعناه فجعلناهم قدوة للاخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم لاتيانهم بمثل افعالهم ومثلا يحدثون به ولما ضرب ابن مريم مثلا لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم غضبوا فقال ابن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال الست تزعم ان عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه وعلى امه خيرا وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزيز يعبد والملائكة يعبدون فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم فرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها

مبعدون ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا لآلهتهم وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إياه إذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وضحكا بما سمعوا منه اسكات النبى صلى الله عليه وسلم بجدله يصدون مدنى وشامى والأعشى وعلى من الصدود اى من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الحلية وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف

وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون (58) إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل (59) ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون (60) وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم (61) ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين (62) ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون (63) إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (64)

الزخرف 63 - 58
وقالوا أآلهتنا خير أم هو بعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر الهتنا هينا ماضربوه اى ماضربوا هذا المثل لك الا جدلا الا لأجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل بل هم قوم خصمون لدشداد الخصومة دأبهم اللجاج وذلك أن قوله تعالى انكم وما تعبدون لم يرد به إلا الأصنام لان ما لغير العقلاء الا أن ابن الزبعرى بخداعه ما رأى كلام الله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن المراد به اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف اللفظ الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريق اللجاج والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه ربه ان هو ما عيسى الا عبد كسائر العبيد أنعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة ملائكة في الارض اى بدلا منكم كذا قاله الزجاج وقال جامع العلوم لجعلنا بدنكم ومن بمعنى

البدل يخلفون يخلفونكم في الأرض او يخلف الملائكة بعضهم بعضا وقيل لو نشاء لقدرتنا على عجائب الأمرو لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم اولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة ولتعلموا ان الملائكة اجسام لا تتولد الا من أجسام والقديم متعال عن ذلك وانه لعلم للساعة وان عيسى مما يعلم به مجىء الساعة وقرا ابن عباس لعلم للساعة وهو العلامة أى وان نزوله علم للساعة فلا تمترن بها فلا تشكن فيها من المرية وهو الشك واتبعون وبالياء فيهما سهل ويعقوب أى واتبعوا هداى وشرعى أو رسو لى أو هو أمر رسول الله ص - أن يقوله هذا صراط مستقيم أى هذا الذى أدعوكم إليه ولا يصدنكم الشيطان عن الايمان بالساعة او عن الاتباع انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة اذ أخرج أباكم من الجنة نزع عنه لباس النور ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة أي بالانجيل والشرائع ولا بين لكم بعض الذى تختل فون فيه وهو امر الدين لا امر الدنيا فاتفوا الله واطيعون ان الله هو

فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (65) هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (66) الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (67) يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (68) الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين (69) ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون (70) يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون (71) وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون (72)

ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم هذا تمام كلام عيسى عليه السلام فاختلف الأحزاب الفرق المتحزبة بعد عيسى وهم اليعقوبية والنسطورية والملكانية والشمعونية من بينهم من بين النصارى فويل للذين ظلموا حيث قالوا في عيسى ما كفروا به من عذاب يوم اليم وهو يوم القيامة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقوم عيسى او للكفار أن تأتيهم بدل من الساعة أى هل ينظرون الا اتيان الساعة

بغتة وهم لا يشعرون اى وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تأخذهم وهم يخصمون الاخلاء جمع خليل يؤمئذ يوم القيامة بعضهم لبعض عدو الا المتقين اى المؤمنين انتصاب يؤمئذ يعدو أى تتقطع في ذلك اليوم كله خلة بين المتخالين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا إلا خلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية يا عبادى بالياء في الوصل والوقف مدنى وشامى وأبو عمرو وبفتح الياء أبو بكر الباقون بحذف اياء لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون هو حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين منصوب المحل صفة لعبادى لأنه منادى مضاف آمنوا بآياتنا صدقوا بآياتنا وكانوا مسلمين لله منقادين له ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم المؤمنات في الدنيا تحبرون تسرون سرورا يظهر حبارة أي اثره على وجوهكم يطاف عليهم بصحاف جمع صحفة من ذهب واكواب اى من ذهب ايضا والكوب الكوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس مدنى وشامى وحفص بإثبات الهاء العائدة الى الموصول وحذفها غيرهم لطول الموصول بالفعل والفاعل والمفعول وتلذ الأعين وهذا حصر لأنواع النعم لأنها اما مشتهيات في القلوب أو مستلذة في العيون وأنتم في خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون تلك اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدا والجنة خير والتى أورثتموها صفة الجنة او الجنة صفة للمبتدأ الذى هو اسم الاشارة والتي أورثتموها خبر المبتدأ أو التي اورثتموها صفة المبتدأ وبما كنتم تعملون الخبر والباء تتعلق نقص اى حاصلة او كائنة كما في الظروف التى تقع

لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون (73) إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون (74) لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون (75) وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين (76) ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون (77) لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون (78) أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون (79) أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون (80) قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (81)

لكم فيها فكهة كثيرة منها تأكلون

اخبارا وفي الوحه الأول تتعلق بأورثتموها وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون من للتبعيض أى لا تأكلون الا بعضها وأعقابها باقية في شجرها فهى مزينة بالثمار ابدا وفي الحديث لاينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها امثلاها ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون خبر بعد خبر لا يفتر عنهم خبر آخر أي لا يخفف ولا ينقص وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من الفرج متحيرون وما ظلمناهم بالعذاب ولكن كانوا هم الظالمين هم فصل ونادوا يا مالك لما ايسوا من فتور العذاب نادوا يا مالك وهو خازن النار وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم ليقض علينا ربك ليمتنا من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا قال انكم ماكثون في العذاب لا تتخلصون عنه بموت ولا فتور لقد جئناكم بالحق كلام الله تعالى ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا أن يسأل الله القضاء عليهم اجابهم الله بذلك وقيل هو متصل بكلام مالك والمراد بقوله جئناكم الملائكة اذ هم رسل الله وهو منهم ولكن أكثركم للحق كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه لأن ومع الباطل الدعة ممع الحق التعب أم أبرمواء أمرا أم أحكم مشركوا مكة أمر امن كيدهم ومكرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قانا مبرمون كيدنا كما أبرموا كيدهم وكانوا يتنادون فيتاجون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة ام يحسبون أنا لا نسمع سرهم حدث انفسهم ونجواهم ما يتحدثون فيما بينهم ويخفونه عن غيرهم بلى تسمعها ونطلع عليها ورسلنا اى الحفظة لديهم يكتبون عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى ابن معاذ من ستر من الناس ذنوبه وابداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله اهون الناظرين إليه وهو من أمارات النفاق قل ان كان للرحمن ولد وصح ذلك ببرهان فانا اول العابدين فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد إليه كما يعظم لرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفى الولد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال في

سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون (82) فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون (83) وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم (84)

وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون (85) ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون (86) ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون (87) وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (88) فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون (89)

سبحن رب السموت والأرض رب العرش عما يصفون
نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها ونظيره قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين اى الموحدين لله المكذبين فولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا اول الآنفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وقرىء العبدين وقيل هى ان النافية أى ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال وعبد ووحد وروى ان النضر قال الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه صدقنى فقال له الوليد ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له ولد حمزة وعلى ثم نزه ذاته عن اتخاذ الولد فقال سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون أي هو رب السموات والارض والعرش فلا يكون جسما إذ لو كان جسما لم يقدر على خلقها واذا لم يكن جسما لا يكون له ولد لأن التولد من صفة الاجسام فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم التى يلاقوا يومهم الذى يوعدون أى القيامة وهذا دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب وهو الذى في السماء إله وفى الارض اله ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الأرض كما نقول هو حاتم في طى وحاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كأنك قلت هو جواد فى طى جواد في تغلب وقرىء وهو الذى في السماء الله وفى الارض الله ومثله قوله وهو الله في السموات والارض فكانه ضمن معنى المعبود والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كفولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا والتقدير وهو الذى هو في السماء اله واله يرتفع على أنه خبر مبتدا مضمر ولا يرتفع اله بالابتداء وخبره في السماء لخلو الصلة حينئذ من عائد يعود إلى الموصول وهو الحكيم في اقولاه وافعاله العليم بما كان ويكون

وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة اى علم قيامها واليه ترجعون يرجعون مكى وحمزة على ولا يملك آلهتهم الذين يدعون أى يدعونهم من دونه من دون الله الشفاعة كما زعمو أنهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق اى ولكن من شهد بالحق بكلمة التوحيد وهم يعلمون أن الله ربهم حقا وعتقدون ذلك هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع

حم (1) والكتاب المبين (2) إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين (3) فيها يفرق كل أمر حكيم (4)

ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى تؤفكون وقيله يرب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلم فسوف يعلمون
سورة الدخان
بسم الله الرحمن الرحيم
او متصل لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة ولئن سألتهم اى المشركين من خلقهم ليقولن الله لا الأصنام والملائكة فأنى يؤفكون فكيف أو من اين يصرفون عن التوحيد مع هذا الإفرار وقيله بالجر عاصم وحمزه اى وعند علم الساعة وعلم قيله يا رب والهاء يعود الى محمد صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره في قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين وبالنصب الباقون عطفا على محل الساعة اى يعلم الساعة ويعلم قيله اى قيل محمد يا رب والقيل والقول والقال والمقال واحد ويجوز ان يكون الجر والنصب على اضما حرف القسم وحذفه وجواب القسم ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب ان هؤلاء لا يؤمنون وأقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه فاصفح عنهم فأعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اى تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون وعيد من الله لهم و تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتاء مدنى وشامى
سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية
بسم الله الرحمن الرحيم
في الخبر من قرأها ليلة جمعة أصبح مغفورا له حم والكتاب المبين اى القرآن الواو في والكتاب واو القسم ان جعلت حم تعديدا

للحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذو ف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وجواب القسم إنا انزلناه في ليلة مباركة اى ليلة القدر او ليلة النصف من شعبان وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة والجمهور على الأول لقوله إنا أنزلناه في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر في اكثر الأقاويل في شهر رمضان ثم قالوا انزله جملة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزل به في وقت وقوع الحاجة الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر

أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين (5) رحمة من ربك إنه هو السميع العليم (6) رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين (7) لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين (8) بل هم في شك يلعبون (9) فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين (10)

حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين - 123
هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم كانه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لأن إنزال القرآن من الامور الحكيمية وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل امر من ارزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى ليلة القدر التى تجىء في السنة المقبلة حكيم ذى حكمة اى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الإسناد المجازى لان الحكم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الأمر به مجازا امر امن عندنا نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بأن وصفة بالحكيم ثم زاده جزالة وفخامة بأن قال أعنى بهذا الأمر امرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين رحمة من ربك معفول له على معنى انا انزلنا القرآن لان من شأننا وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم او تعليل لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعول به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في

قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده والأصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين إنه هو السميع لأقوالهم العليم بأحوالهم رب كو فى بدل من ربك وغيرهم بالرفع اى هو رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ومعنى الشرط انهم كانوا يقرون بان للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى انتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته لا اله الا هو يحى ويميت ربكم اى هو ربكم ورب آبائكم الاولين عطف عليه ثم رد ان يكونوا موقنين بقوله بل هم في شك يلعبون وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن بل قول مخلوط بهزؤ ولعب فارتقب فانتظر يوم تأتى السماء بدخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وقيل إن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان مبين ظاهر حاله لا يشك احد في أنه دخان يغشى الناس يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة

يغشى الناس هذا عذاب أليم (11) ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون (12) أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين (13) ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون (14) إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون (15) يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون (16) ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم (17) أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين (18) وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين (19) وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون (20)

هذا عذاب أليم ربنا كشف عنا العذاب انا مؤمنون

لدخان وقوله هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اى سنؤمن ان تكشف عنا العذاب منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب المحل على الحال أى قائلين ذلك أنى لهم الذكرى كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون اى وقد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الأذكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره فلم يذكروا و تولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذى علمه ونسبوه الى الجنون انا كاشفوا العذاب قليلا زمانا قليلا او كشفا قليلا انكم عائدون الى الكفر الذى كنتم فيه أو إلى العذاب يوم نبطش البطشة الكبرى هى يوم القيامة أو يوم بدر انا منتقمون أى ننتقم منهم في ذلك اليوم وانتصاب يوم نبطش باذكروا بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم لا بمنتقمون لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها ولقد فتنا قبلهم قبل هؤلاء المشركين اى فعلنا بهم فعل المختبر ليظهر منهم ما كان باطنا قوم فرعون وجاءهم رسول كريم على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه حسيب نسيب لأن الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان أدوا إلى هى أن المفسرة لان مجىء الرسول الى من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم الا مبشر ا ونذيرا وداعيا الى الله او ففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث ادوا الى سلموا الى عباد الله هو مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الى وأرسلوهم معى كقوله ارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على معنى ادوا الى عباد الله وما هو واجب لى عليكم من الايمان لى وقبول دعوتى واتبأع سبيلى وعلل ذلك بقوله انى لكم رسول امين اى على رسالتى غير متهم وان لا تعلوا على الله أن هذه مثل الأولى في وجهيها اى لا تستكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تستكبروا على نبى الله انى آتيكم بسلطان مبين بحجة واصحة تدل على انى نبى وانى عذت مدغم ابو عمرو وحمزة وعلى بربى وربكم ان ترجمون ان تقتلونى رجما ومعناه انه عائذ بربه متكل على انه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل

وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون (21) فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون

(22) فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون (23) واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون (24) كم تركوا من جنات وعيون (25) وزروع ومقام كريم (26) ونعمة كانوا فيها فاكهين (27) كذلك وأورثناها قوما آخرين (28) فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين (29) ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين (30) من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين (31) ولقد اخترناهم على علم على العالمين (32)

وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون
وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون اى ان لم تؤمنوا الى فلامو الاة وبين من لا يؤمن فتنحوا عنى او فخلونى كفافا لالى ولا على ولا تتعرضو الى بشركم واذا كم مليس جزاء من دعاكم الى مافيه فلاحكم ذلك ترجمونى فاعتزلوني في الحالتين يعقوب فدعا ربه شاكيا قومه ان هؤلاء قوم مجرمون بأن هؤلاء اى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرا مهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرىء ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اى فدعا ربه فقال ان هؤلاء فأسر من اسرى فاسر بالوصل حجازى من سرى والقول مضمر بعد الفاء اى فقال اسر بعبادى اى بنى اسرائيل ليلا انكم متبعون اى دبر الله ان تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجى المتقدمين ويغرق التابعين واترك البحر رهوا ساكنا اراد موسى عليه السلام لما جاوز البحر ان يضربه بعصاه فينطبق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق ببسالا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئا ليدخله القبط فإذا حصلوا فيه اطبقه الله عليهم وقيل الرهو الفجوة الواسعة اى اتركه مفتوحا علىحاله منفرجا انهم جيد مغرقون بعد خروجكم من البحر وقرىء بالفتح أى لانهم كم عبارة عن الكثرة منصوب بقوله تركوا من جنات و عيون وزروع ومقام كريم عبارة عن الكثرة منصوب بقوله تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم هو ما كان لهم من المنازل الحسنة وقيل المنابر ونعمة تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين كذلك اى الامر كذلك فالكاف فى موضع الرفع لى أنه خبر مبتدأ مضمر واورثناها قوما آخرين ليسوا منهم فى شىء من قرابة ولا دين ولاء وهم بنو اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض لأنهم ماتوا كفارا والمؤمن اذا مات تبكي عليه السماء والأرض فيبكى على المؤمن من الأرض

مصلاة ومن السماء مصعد عمله وعن الحسن أهل السماء والأرض وما كانوا منظرين أي لم ينظروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين أي الاستخدام والإستعباد وقتل الأولاد من فرعون بدل من العذاب المهين باعادة الجار كأنه نفسه كان عذابا مهينا لأفراط في تعذبيهم واهانتهم أو خبر مبتدأ محذوف أي ذلك من فرعون أنه كان عاليا متكبرا من المسرفين خبر ثان أي كان متكبرا مسرفا ولقد اخترناهم أي بنى إسرائيل على علم حال من ضمير الفاعل أي عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء بأن يختاروا على العالمين علي وآتيناهم

وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين (33) إن هؤلاء ليقولون (34) إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين (35) فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (36) أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين (37) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين (38) ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون (39) إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين (40) يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون (41) إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم (42) إن شجرة الزقوم (43) طعام الأثيم (44)

من الايات ما فيه بلؤا مبين
من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة أو اختيار ظاهر لننظر كيف تعملون ان هؤلاء يعنى كفار قريش ليقولن أزهى ما الموتة الا موتتنا الأولى والاشكال ان الكلام وقع في الحياة الثانية لافى الموت فهلا قيل ان هى الا حياتنا الأولى وما معنى ذكر الأولى كانهم وعدوا موتة اخرى حتى جحدوها واثبتوا الاولى والجواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شأنها ان يتعقبها حياة الا الموتة الأولى فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله الا حياتنا الدنيا في المعنى ويحتمل ان يكون هذا انكارا لما في قوله ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين وما نحن بمنشرين بمبعوثين يقال انشر الله الموتى ونشرهم

اذا بعثهم فائتوا بآبائنا خطاب الذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان كنتم صادقين اى ان صدقتم فيما تقولون نعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق أهم خير في القوة المنعة ام قوم تبع هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين وقيل كان نبيا وفى الحديث ما ادرى اكان تبع نبيا او غير نبى والذين من قبلهم مر فوع بالعطف على قوم تبع اهلكناهم انهم كانوا مجرمين كافرين منكرين للبعث وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما اى وما بين الجنسين لاعبين حال ولو لم يكن بعث ولا حساب ولا ثواب كان خلق الخلق للقناء خاصة فيكون لعبا ما خلقناهما الا بالحق بالجد ضد اللعب ولكن اكثرهم لا يعلمون أنه خلق لذلك ان يوم الفصل بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة ميقاتهم اجمعين وقت موعدهم كلهم يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا اى و لى كان عن اى ولى كان شيئا من اغناء اى قليلا منه ولا هم ينصرون الضمير للمولى لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى الا من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اى لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله انه هو العزيز الغالب على اعدائه الرحيم لأوليائه ان شجرت الزقوم هى على صورة

كالمهل يغلي في البطون (45) كغلي الحميم (46) خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم (47) ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم (48) ذق إنك أنت العزيز الكريم (49) إن هذا ما كنتم به تمترون (50) إن المتقين في مقام أمين (51) في جنات وعيون (52) يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين (53) كذلك وزوجناهم بحور عين (54) يدعون فيها بكل فاكهة آمنين (55) لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم (56) فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم (57) فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون (58) فارتقب إنهم مرتقبون (59)

طعام الأثيم كالمهل يغلى في البطون
شجر الدنيا لكنها في النار والزقوم ثمرها وهو كل طعام ثقيل طعام

الأثيم هو الفاجر الكثير الآثام وعن ابى الدرداء انه كان يقرىء رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا تستدل على أن ابدال الكلمة مكان الكلمة جائز إذ كانت مؤذيه معناها ومنه اجاز ابو حنيفة رضى الله عنه القراءة بالفارسية بشرط ان يؤدى القارىء المعانى كلها على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجاز كلا اجازة لأن في كلام العرب خصوصا في القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعانى والدقائق مالا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها ويروى رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد كالمهل هو دردى الزيت والكاف رفع خبر بعد خبر تغلى في البطون وبالياء مكى وحفص فالتاء للشجرة والياء للطعام كغلى الحميم اى الماء الحار الذى انتهى غليانه ومعناه غليا كغلى الحميم فالكاف منصوب المحل ثم يقل للزبانية خذوه اى الاثيم فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة فاعتلوه مكى ونافع وشامى وسهل ويعقوب الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق رأسه من عذا الحميم المصبوب هو الحميم لا عذابه الا انه اذا صب عليه الحميم لقد صب عليه عذابه وشدته وصب العذاب استعارة ويقال له ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزؤ والهكم انك اى لانك على ان هذا اى العذاب او هذا الامر هو ما كنت به تمترون تشكون ان المتقين في مقام بالفتح وهو موضوع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا في معنى العموم وبالضم مدنى وشامى وهو موضع الاقامة امين من امن الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لأن المكان المخيف كانما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون بدل من مقام امين يلبسون من سندس مارق من الديباج واستبرق ما غلظ وهو تعريب استبر واللفظ اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب فساغ ان يقع في القرآن العربي متقابلين في مجالسهم وهو اتم للانس كذلك الكاف مرفوعة اى الامر كذلك وزوجناهم وقرناهم ولهذا عدى بالباء بحور جمع حوراء وهى الشديده سواد العين والشدة بياضها عين جمع عيناء وهى الواسعة العين يدعون فيها يطلبون في الجنة بكل فاكهة آمنين من الزوال والانقطاع

حم (1) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (2) إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين (3) وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون (4) واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون (5)

لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى
سوة الجاثية
بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم
وتولد الضرر من الاكثار لايذوقون فيها اى في الجنة الموت البته الا الموتة الاولى الا سوى الموتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا وقيل لكن الموتة قد ذاقوها في الدنيا ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك اى للفضل فهو مفعول له أو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله ووقاهم عذا الجحيم تفضل منه لهم لان العبد لا يستحق علىالله شيئا ذلك اى صرف العذاب ودخول الجنة هو الفوز العظيم فانما يسرناه اى الكتاب وقد جرى ذكره في اول السورة بلسانك لعلهم يتذكرون يتعظون فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك من الدوائر
سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
حم ان جعلتها اسما للسورة فهى مرفوعة بالابتداء والخبر تنزيل الكتاب من الله صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب متبدأ والظرف خبر العزيز في انتقامه الحكيم في تدبيره إن في السموات والأرض لآيات لدلالات على وحدانيته ويجوز ان يكون المعنى ان في خلق السموات والأرض لآيات للمؤمنين دليله قوله وفى خلقكم ويعطف وما يبث من دابة على الخلق المضاف لأن المضاف اليه ضمير مجرور ومتصل يقبح العطف عليه آيات حمزة وعلى بالنصب وغيرهما بالرفع مثل قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق او وعمرو في السوق لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق اى مطر وسمى به لأنه سبب الرزق فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح الريح حمزة على آيات لقوم يعقلون بالنصب

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون (6) ويل لكل أفاك أثيم (7) يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم (8) وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين (9)

تلك ءايت الله نتلوها عليك بالحق
على وحمزة وغيرهما بالرفع وهذا من العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت ان وفى اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في واختلاف الليل والنهار والنصب في آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفي عملت الواو الرفع في آيات والجر في واختلاف هذا مذهب الأخفش لأنه يجوز العطف على عاملين وأما سيبويه فانه لا يجيزه وتخريج الآية عنده ان يكون على اضمار في والذى حسنه تقديم ذكر في الآيتين قبل هذه الآية ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وفي اختلاف الليل والنهار ويجوز ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور ومعطوفا على ما قبله او على التكرير توكيد الآيات الاولى كانه قيل آيات آيات ورفعهما باضمار هى والمعنى في تقديم الإيمان على الايقان وتوسيطه وتأخير الآخران المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض نظرا صحيحا علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله فإذا نظروا في خلق انفسهم وتقلها من حال الى حال وفي خلق ما ظهر على لارض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وايقنوا فاذا نظروا في سائر الحوادث التى تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم تلك اشارة الى الايات المتقدمة اى تلك الآيات آيات الله وقوله تتلوها في محل الحال اى متلوة عليك بالحق والعامل مادل عليه تلك من معنى الاشاة فبأى حديث بعد الله وآياته أى بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون اعجبنى كرم زيد يؤمنون حجازى وابو عمرو وسهل وحفص بالتاء غيرهم على تقدير قل يا محمد ويل لكل افاك كذاب اثيم متبالغ في اقتراف الآثام يسمع آيات الله في موضع جر صفة تتلى عليه حال من آيات الله ثم بصر يقبل على كفره ويقيم عليه مستكبرا عن

الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في الضر بن الحرث وما كان يشترى من احاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله وجىء بثم لان الاصرار على الضلالة والاستكبار عن الايمان عند سماع آيات القرآن مستبعد في العقول كأن لم يسمعها كان مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن ومحلة الجملة النصب على الحال اى يصير مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم فأخبره خبرا يظهر اثره على البشرة واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه للأشعار بأنه اذا احس بشىء من الكلام انه من جملة الآيات خاض في الاستهزاء

من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم (10) هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم (11) الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (12) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (13) قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (14)

اولئك لهم عذاب مهين
يجمع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لأنه في معنى الآية كقول ابى العتاهية ... نفسى ... بشىء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها
حيث أراد عتبة اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الأفاكين لهم عذاب مهين مخز من ورائهم من قدامهم الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدام جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا من الأموال شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا ما فيهما مصدرية أو موصولة من دون الله من الأوثان أولياء ولهم عذاب عظيم في جهنم هذا هدى اشارة الى القرآن ويدل عليه والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هى القرآن اى هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل اى كامل في الرجولية لهم عذاب من رجز هو اشد العذاب أليم

بالرفع مكى ويعقوب وحفص صفة لعذاب وغيرهم بالجر صفة لرجز
الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره باذنه ولتبتغوا من
فضله بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم
الطرى ولعلكم تشكرون وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض
جميعا هو تأكيد مافى السموات وهو مفعول سخر وقيل جميعا نصب
على الحال منه حال اى سخر هذه الاشياء كائنة منه حاصلة من عنده
أو خبر مبتدأ محذوف أي هذه العم كلها منه أو صفة للمصدر أي
تسخيرا منه ان في ذ لك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا ي
غفروا اى قل لهم اغفروا يغفروا فحذف المقول لان الجواب يدل
عليه ومعنى يغفروا يعفوا ويصفحوا وقيل انه مجزوم بلام مضمرة
تقديره ليغفروا فهو امر مستأنف وجاز حذف اللام لدلالة على الامر
الذين لا يرجون أيام الله لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولم
لوقائع العرب ايام العرب وقتل لا يؤملون الاوقات التي وقتها الله
تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت ي عمر رضى
الله عنه حين شتمه رجل من المشركين من بنى غفار فهم ان يبطش
به ليجزى تعليل للأمر بالمغفرة اى انما امروا بأن يغفروا ليوفيهم
جزاء مغفرتهم يوم القيامة وتنكير قوما على المدح لهم كانه قيل
ليجزى ايما قوم

من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون (15) ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين (16) وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (17) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (18) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين (19) هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (20)

بما كانوا يكسبون من عمل صلحا فلنفسه
وقوما مخصوصين بصبرهم على اذى اعدائهم لنجزى شامى وحمزة
وعلى لينجزى قوما يزيد اى ليجزى الخير قوما فأضمر الخير لدلالة
الكلام عليه كما أضمر الشمس في قوله حتى توارث بالحجاب لان

قوله اذا عرض عليه بالعشى دليلا على توارى الشمس وليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لأن المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح اما اقامة المفعول الثاني مقام الفاعل فجائز وانت تقول جزاك الله خيرا ربما كانوا يكسبون من الاحسان من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اى لها الثواب وعليها العقاب ثم الى ربكم ترجعون أى الى جزائه ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب التوراة والحكم الحكمة والفقه او فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم والنبوة خصها بالذكر لكثرة الانبياء عليهم السلام فيهم ورزقناهم من الطيبات مما أحل الله لهم واطاب من الارزاق و فضلناهم على العالمين على عالمى زمانهم وآتيناهم بينات آيات ومعجزات من الأمر من امر الدين فما اختلفوا فما وقع الخلاف بينم في الدين إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم اى الامن من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم وانما اختلفوا لبغى حدث بينهم اى لعداوة وحسد بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون قيل المراد اختلافهم في اوامر الله ونواهيه في التوراة حسدا وطلبا وجلبا للرياسة لا عن جهل يكون الانسان به معذورا ثم جعلناك بعد اختلاف اهل الكتاب على شريعة على طريقة ومنهاج من ا لأمر من أمر ا لدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج والدلائل ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ولا تتبع مالا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك انهم ان هؤلاء الكافرين لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين وهم موالوه وما ابين الفضل بين الولايتين 6هذا اى القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهدى من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون لمن آمن وايقن

أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون (21) وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون (22) أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (23)

أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم
بالبعث أم حسب الذين ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار
الحسبان اجترحوا السيئات اكتسبواالمعاصى والكفر ومنه الجوارح
وفلان جارحة اهله اى كاسبهم أن نجعلهم أن نصيرهم وهو من جعل
المعتدى الى مفعولين فاولهما الضمير والثانى الكاف فى كالذين
آمنوا وعملوا الصالحات والجملة التى هى سواء محياهم ومماتهم
بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد
سواء على وحمزة وحفص بالنصب على الحال من الضمير ي نجعلهم
ويرتفع محياهم ومماتهم بسواء وقرأ الاعمش ومماتهم بالنصب جعل
محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج اى سواء في محايهم وفى
مماتهم والمعنى انكار ان يستوى المسيئون والمحسنون محيا وان
يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام
بالطاعات واولئك على اقتراف السيآت ومماتا حيث مات هؤلاء على
البشرى بالرحمة والكرامة واولئك على الياس من الرحمة والندامة
وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة في
الرزق والصحة وعن تميم الدارى رضى الله عنه انه كان يصلى ذات
ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد الى الصباح وعن
الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى
من اى الفريقين انت ساء ما يحكمون بئس ما يقضون اذا حسبوا
انهم كالمؤمنين فليس من اقعد على بساط الموافقة كمن اقعد على
مقام المخالفة بل نفرق بينهم فنعلى المؤمنين ونخزى الكافرين
وخلق الله السموات والأرض بالحق ليدل على قدرته ولتجزى
معطوف على هذا المعلل المحذوف كل نفس بما كسبت وهم لا
يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه اى هو مطواع لهوى النفس يتبع
ما تدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه واضله الله على علم
منه باختياره الضلال او انشأ فيه فعل الضلال على علم منه بذ لك
وختم على سمعه فلا يقبل وعظا وقلبه فلا ي عتقد حقا وجعل على
بصره غشاوة فلا يبصر عبرة غشوة حمزة وعلى فمن يهديه من بعد
الله من بعد إضلال الله اياه أفلا تذكرون بالتخفيف حمزة وعلى
وحفص وغيرهم بالتشديد فاصل الشر متابعة الهوى والخير كله في
مخالفته فنعم ما قال ... اذا طلبتك النفس يوما بشهوة وكان اليها
للخلاف طريق ... فدعها وخالف ماهويت فانما هواك عدو والخلاف

صديق

وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (24) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (25) قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون (26) ولله ملك السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون (27) وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (28)

وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر - 133
وقالوا ما هى اى ما الحياة لانهم وعدوا حياة ثانية إلا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت وحيا نموت نحن ونحيا ببقاء اولادنا او يموت بعض ويحيا بعض او نكون مواتا نطفا في الأصلاب ونحيا بعد ذلك او يصيبنا الأمران الموت والحياة يريدون الحياة في الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقيل هذا كلام من يقول بالتناسخ اى يموت الرجل ثم تجعل روحه في موات فيحيا به وما يهلكنا إلا الدهر كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالى هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك الموت وقبضة الأرواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر اى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وما يقولون ذلك من علم ويقين ولكن من ظن وتخمين وإذا تتلى عليهم آياتنا اى القرآن يعمافيه من ذكر البعث بينات ما كان حجتهم وسمى قولهم حجة وان لم يكن حجة لأنه في زعمهم حجة إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا اى احيوهم إن كنتم صادقين في دعوى البعث وحجتهم خبر كان واسمها ان قالوا والمعنى ما كان حجتهم الا مقالتهم ائتوا بآياتنا وقرىء حجتهم بالرفع على انها اسم كان وان قالوا الخبر قل الله يحييكم في الدنيا ثم يميتكم فيها عند انتهاء اعماركم ثم يجمعكم الى يوم القيامة اى يبعثكم يوم القيامة جميعا ومن كان قادر على ذلك كان قادر على الاتيان بآبائكم ضرورة لا ريب فيه اى في الجمع ولكن اكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث لاعراضهم عن التفكر في الدلائل ولله

ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون عامل النصب في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدل من يوم تقوم وترى كل أمة جاثية جالسة على الركب يقال جثا فلان يجثو اذا جلس عل ركبتيه وقيل جاثية مجتمعة كل أمة بالرفع على الابتداء كل بالفتح يعقوب عل الابدال من كل أمة تدعى إلى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس فيقال لهم 6اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا هذا كتابنا اضيف الكتاب اليهم لملابسته اياهم لان اعمالهم مثبتة فيه والى الله تعالى لانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق

هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (29) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين (30) وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين (31) وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين (32) وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون (33) وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (34) ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (35) فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين (36) وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (37)

عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
عليكم يشهد عليكم بما عملتم بالحق من غير زيادة ولا نقصان إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اى نستكتب الملائكة اعمالكم وقيل نسخت واستنسخت بمعنى وليس ذلك بنقل من كتاب بل معناه نثبت فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته جنته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا فيقال لهم 6أفلم تكن آياتى تتلى عليكم والمعنى الم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين كا فرين وإذا قيل إن وعد الله بالجزاء حق والساعة بالرفع عطف على

محل إن واسمها والساعة حمزة عطف على وعد الله لا ريب فيها قلنم ماندرى ما الساعة اى شىء الساعة إن نظن الا ظنا اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله وما نحن بمستيقنين وبدالهم ظهر لهؤلاء الكفار سيآت ما عملوا قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيآت كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ونزل بهم جزاء استهزائهم وقيل اليوم تتساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا اى تترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم وهى الطاعة وإضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر في قوله الليل والنهار اى نسيتم لقاء الله تعالى في يومكم هذا ولقاء جزائه ومأواكم النار اى منزلكم ومالكم من ناصرين ذلكم العذاب بأنكم بسبب انكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها لا يخرجون حمزة وعلى ولاهم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اى فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب

حم (1) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (2) ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون (3) قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين (4) ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون (5)

وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم
سورة ا الأحقاف
بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم
كل شىء من السموات والارض والعالمين فإن مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وله الكبرياء في السموات والأرض وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في

السموات والأرض وهو العزيز في انتقامه الحكيم في أحكامه
سورة الأحقاف مكية وهي خمس وثلاثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموان والأرض وما بينهما إلا بالحق ملتبسا بالحق وأجل مسمى وبتقدير أجل مسمى ينتهى إليه وهو يوم القيامة والذين كفروا عما أنذروا عما أنذوره من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل مخلوق من انتهائه إليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالإستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن إذنذارهم ذلك اليوم قل أرأيتم أخبروني ماتدعون من دون الله تعبدونه من الأصنام أروني ماذا خلقوا من الأرض أي شيء خلقوا مما في الأرض إن كانوا آلهة أم لهم شرك في السموات شركة مع الله في خلق السموات والأرض ائتونى بكتاب من قبل هذا أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وأبطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك فائتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله أو أثارة من علم أو بقية عليكم علم بقيت عليكم من علوم الأولين إن كنتم صادقين أن الله أمركم بعبادة الأوثان ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم

وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (6) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين (7) أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم (8) قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين (9)

عن دعائهم غافلون أي أبدا وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء أي الأصنام لعبدتها وكانوا أي الأصنام بعبادتهم بعبادة عبدتهم كافرين يقولون ما دعوناهم إلى عبادتنا ومعنى الاستفهام في من أضل إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالة من عبدة لأوثان حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على كل شيء ويدعون من دونه جماد إلا يستجيب لهم ولا قدرة له على استجابة احد منهم ما دامت الدنيا

وإلى ان تقوم القيامة واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم ولما أسند اليهم ما يسند الى اولى العلم من الاستجابة والغفلة قيل من وهم ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقة طريق التهكم بها وبعبدتها او نحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا د عاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات جمع بينة وهى الحجة والشاهد أو واضحات مبينتات قال الذين كفروا للحق المراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهر ان موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم اى بادءوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر هذا سحر مبين ظاهر امره في البطلان لا شبهة فيه 6أم يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمد عليه السلام افتراه اى اختلقه واضافه الى الله كذبا والضمير للحق والمراد به الآيات قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا اى ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معالجتى ولا تطيقون دفع شىء من عقابه فكيف افتريه واتعرض لعقابه هو أعلم بما تفيضون فيه اى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بينى وبينكم يشهد لى بالصدق ولابلاغ ويشهد عليم بالجحود والانكار ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم موعدة بالغفران والرحمة ان تابوا عن الكفر وآمنوا قل ما كنت بدعا من الرسل اى بديعا كالخف بمعنى الخفيف والمعنى انى لست بأول مرسل فتنكروا نبوتى وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم اى ما يفعل الله بى وبكم فبما يستقبل من الزمان وعن الكلبى قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لى

قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين (10) وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ

لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم (11) ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين (12)

إن اتبع إلا ما يوحى إلى وما اناإلا نذير مبين
ورأيتها يعنى في منامه ذات نخيل وشجر وما في يفعل يجوز ان تكون موصولة منصوبة وان تكون استفهامية مرفوعة وانما دخل لا في قوله ولا بكم مع ان يفعل مثبت غيره منفى لتناول النفى فيما أدرى ما وما في حيزه إن اتبع إلا ما يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين قل أرأيتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل هو عبدالله بن سلام عند الجمهور ولهذا قيل اإن هذه الآية مدنية لان اسلام ابن سلام بالمدينة روى انه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب وقال له انى ساتلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة وما بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا على مثله الضمير للقرآن اى مثله في المعنى وهو ما في التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله فآمن الشاهد وقد استكبرتم عن الايمان به وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف إن الله لا يهدى القوم الظالمين والواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم 2على شهد شاهد واما الواو في وشهد فقد عطفت جملة قولها شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل اخبرونى ان اجتمع كون القرآن عن عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فإيمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقال الذين كفروا للذين آمنوا اى لأجلهم وهو كلام كفار

مكة قالوا ان عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود لو كان خيرا ما سبقونا اليه لو كان ما جاء به محمد خيرا اما سبقنا اليه هؤلاء و إذا لم يهتدوا به العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وقولهم افك قديم اى كذب متقدم كقولهم أساطير الاولين ومن قبله اى القرآن كتاب موسى اى التوراة وهو مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبر مقدما عليه وهو ناصب إماما على الحال نحو في الدار زيد قائما ومعنى إماما قدوة

إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (13) أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون (14) ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين (15)

ورحمة وهذا كتب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين
يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب لسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق او من كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجواز ان يكون مفعولا لمصدق اى يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول لينذر اى الكتاب لتنذر حجازى وشامى الذين ظلموا كفروا وبشرى في محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له للمحسنين للمؤمنين المطيعين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على توحيد الله وشريعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا خوف عليهم في القيامة ولاهم يحزنون عند الموت أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها حال من اصحاب الجنة والعامل فيه معنى الاشارة الذى دل عليه أولئك جزاء بما كانوا يعملون جزاء مصدر لفعل دل

عليه الكلام اى جوزوا جزاء ووصينا الإنسان بوالديه احسانا كوفى اى وصيناه بأن يحسن بوالديه احسانا حسنا غيرهم اى وصيناه بوالديه امرا ذا حسن او بأمر ذى حسن فهو في موضع البدل من قوله بوالديه وهو من بدل الاشتمال حملته أمه كرها ووضعته كرها وبفتح الكافين حجازى وأبو عمرو وهما لغتان في معنى المشقة وانتصابه على الحال اى ذات كره أو على انه صفة للمصدر ابحملا ذاكره وحمله وفصاله ومدة حمله و فطامه ثلاثون شهرا وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع ا ذا كانت حولين لقوله تعالى حولين كاملين بقيت للحمل ستة أشهر وبه قال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفة رضى الله عنه المراد به الحمل بالأكف وفصله يعقوب والفصل والفصال كالعظم والعظام بناء ومعنى حتى اذا بلغ أشده هو جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحدة شدة وبلوغ الاشد ان يكتهل ويستوفى السن التى فيها قوته وعقله وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه ان يكون ذلك اول الأشد وغايته الأربعون وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى الهمنى أن اشكر نعمتك التى أنعمت على و على والدى المراد به نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه وأن أعمل صالحا ترضاه

أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون (16) والذي قال لوالديه أف لكما أتعداننني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين (17) أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (18)

واصلح لى في ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين
قيل هى الصلوات الخمس وأصلح لى في ذريتى اى اجعل ذريتى موقعا للصلاح ومظنة له انى تبت اليك من كل ذنب وانى من المسلمين من المخلصين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم حمزة وعلى وحفص يتقبل ويتجاوز أحسن

غيرهم في اصحاب الجنة هو كقولك أكرمنى الامير في ناس من اصحابه تريد أكرمنى في جملة من أكرم منهم ونظمنى في عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين في اصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز قيل نزلت في ابى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أبيه ابي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم فانه آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر رضي الله عنه الذى كانوا يوعدون في الدنيا والذى قال لوالديه مبتدأ خبره اولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقيل نزلت في عبدالرحمن بن ابى بكر رضى الله عنه قبل اسلامه ويشهد لبطلانه كتاب معاويه الى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبى بكر لقد جئتم بها هرقلية أنبايعون لأبنائكم فقال مروان يا ايها الناس هذا الذى قال الله تعالى فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضى الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن اباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله أى قطعة أف لكما مدنى وحفص أف مكى و شامى أف غيرهم وهو صوت إذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان اى هذا التأفيف لكما خاصة ولأجلكما دون غيركما أتعدانى أن أخرج ان ابعث واخرج من الارض وقد خلت القرون من قبلى ولم يبعث منهم احد وهما ابواه يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله ويقولان له ويلك دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك آمن بالله وبالبعث ان وعد الله بالبعث حق صدق فيقول لهما ما هذا القول إلا أساطير الأولين أولئك الذين حق عليهم القول

ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون (19) ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في

الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون (20) واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (21)

في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خسرين اى لأملان جهنم فى أمم 6قد خلت قد مضت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل من الجنسين المذكورين الابرار والفجار درجات ما عملوا أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منها وانما قال درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات على وجه التغليب وليوفيهم أعمالهم بالياء مكى وبصري وعاصم وهم لا يظلمون اى وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات واللام متعلقة بمحذوف ويوم يعرض الذين كفروا على النار عرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به وقيل المراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فغلبوا أذهبتم اى يقال لهم اذهبتم وهو ناصب الظرف طيباتكم في حياتكم الدنيا أي ما كتب لكم حظمن الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم وقد دهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شىء منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكى استبقى طيباتى واستمتعتم بها بالطيبات فاليوم تجزون عذاب الهون اى الهوان وقرىء به بما كنتم تستكبرون تتكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون اى باستكباركم وفسقكم واذكر اخا عاد اى هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشىء اذا عوج عن ابن عباس رضىالله عنهما هو واد بين عمان ومهرة وقد خلت النذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه ومن خلفه من قبل هود ومن خلف هود وقوله وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلف وقع اعتراضا بين انذر قومه وبين ألا تعبدوا إلا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك قالوا أى قوم هود أجئتنا لتأفكا لتصرفنا فالأفك الصرف يقال افكه عن رأيه عن آلهتنا عن عبادتها

قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (22) قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون (23) فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم (24) تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين (25) ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون (26)

فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصد قين
فأتنا بما تعدنا من معالجة العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين في وعيدك قال إنما العلم بوقت مجىء العذاب عند الله ولا علم لى بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم وأبلغكم ما أرسلت به اليكم وبالتخفيف أبو عمر وأي الذى هو شأنى ان أبلغكم ما ارسلت به الانذار والتخويف ولكنى أراكم قوما تجهلون اى ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه فلما رأوه الضمير يرجع الى ما تعدنا او هو مبهم وضح أمره بقوله عارضا أما تمييزا او حالا والعارض السحاب الذى يعرض في افق السماء مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا روى ان المطر قد احتبس عنه فرأوا سحابة استقبلت أوديتهم فقالوا هذا سحاب يأتينا بالمطر واظهروا من ذلك فرحا وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة بل هو اى قال هو دبل هو ويدل عليه قراءة من قرأ قال هو دبل هو ما استعجلتم به من العذاب ثم فسره فقال ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شىء تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية بأمر ربها رب الريح فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم عاصم وحمزة وخلف أى لا يرى شىء إلا مساكنهم غيرهم لا ترى الا مساكنهم والخطاب للرائى من كان كذلك نجزى القوم المجرمين اى مثل ذلك نجزى من أجرم مثل جرمهم وهو تحذير لمشركى العرب عن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود عليه السلام ومن معه

في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما تلذه الانفس وانها لمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ان نافية اى فيما ما مكناكم فيه الا ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع الا ترى ان الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قبلوا الألف هاء وقد جعلت أن صلة وتؤول بامكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هوالأول فقوله تعالى هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وما بمعنى الذى او نكرة موصوفة وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وافئدة اى الات الدرك والفهم 6فمااغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدتهم من شىء اى من شىء من الاغناء وهو القليل منه إذا كانوا يجحدون

ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون (27) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون (28) وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين (29)

بأيت الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
بآيات الله اذ نصب بقوله فما اغنى وجرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا ان اذا وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك وحاق بهم ونزل بهم ما كانوا به يستهزءون جزاء استهزائهم وهذا تهديد لكفار مكة ثم زادهم تهديد بقوله ولقد أهلكناما حولكم يا اهل مكة من القرى6 نحو حجر ثمود وقرى قوم لوط والمراد اهل القرى ولذلك قال وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون اى كررنا عليهم الحجج وانواع العبر لعلهم يرجعون عن الطغيان الى الايمان فلم يرجعوا فلولا فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما تقرب به الى الله تعالى اى اتخذوهم شفعا ومتقاربا بهم الى الله تعالى حيث قالوا هؤلا شفعاؤنا عند الله واحد مفعولى اتخذ الراجع الى الذين محذوف اى اتخذوهم والثانى الهة وقربانا حال بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرتهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم

وضلالهم عنهم اى وذلك اثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب وإذ صرفنا اليك نفرا أملنا هم اليك واقبلنا بهم نحوك والنفر دونالعشرة من الجن جن نصيبين يستمعون القرآن منه عليه الصلاة والسلام فلما حضروه اى الرسول صلى الله عليه وسلم أو القرآن اى كانوا منه بحيث يسمعون قالوا اى قال بعضهم لبعض انصتوا اسكتوا مستمعين روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من اشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زويعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلى او في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل الله امر رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرا منهم فقال إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن احد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لعطا شديدا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر الفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك

قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم (30) يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم (31) ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين (32) أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير (33) ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (34) فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا

القوم الفاسقون (35)

فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين
فلما قضى اى فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من القراءة ولوا النقومهم منذرين اياهم قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وانما قالوا من بعد موسى لانهم كانوا علىاليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام 6مصدقا لما بين يديه من الكتب يهدى الى الحق الى الله تعالى والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله اي محمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به يغفر لكم ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم قال ابو حنيفة رضى الله عنه لا تواب لهم الا النجاة من النار لهذه الآية وقال مالك وابن ابى ليلى وابو يوسف ومحمد رحمهم الله لهم الثواب والعقاب وعن الضحاك انهم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لقوله تعالى لم يطمثهن اني قبلهم ولا جان ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز في الارض اى لا ينجى منه مهرب وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أو لم ير أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن هو كقوله ومامسنا من لغوب ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه بقادر محله الرفع لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبدالله قادر وانما دخلت الباء لا شتمال النفى في اول الاية على ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قيل اليس الله بقادر الا ترى الى وقو بلى مقررة للقدرة علىكل شىء من البعث وغير لالرؤيتهم على ان يحيى الموت بلى هو جواب النفى انه على كل شىء قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار يقال لهم اليس هذا بالحق وناصب الظرف القول المضمر وهذا اشارةالىالعذاب وقالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا فاصبر كما صبر اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر من الرسل من التبعيض والمراد باولى العزم ما ذكر في الاحزاب واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم (1) والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم (2)

ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون
نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ويونس ليس منهم لقوله ولا تكن كصاحب الحوت وكذا آدم لقوله ولم نجد له عزما او لبيان فيكون اولوا العزم صفة الرسل كلهم ولاتستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب اى لا تدع لهم بتعجيله فانه نال بهم لا محالة وان تأخر كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثو الا ساعة من نهار ى انهم يستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ اى هذا الذي وعظتم به كفايه في الموعظة او هذا تبليغ من الرسول فهل يهلك هلاك عذاب والمعنى فلن يهلك بعذاب الله الا القوم الفاسقون اى المشركون الخارجون عن الإتعاظ به والعمل بموجبة قال عليه السلام من قرأ سورة الأحقاف كتب الله له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا
سورة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل سورة القتال مدنية وقيل مكية وهى ثمان وثلاثون اية او تسع وثلاثون اية
بسم الله الرحمن الرحيم
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه قال الجوهرى صد عنه يصد صدودا اعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه وهم المطعمون يوم بدر او اهل الكتاب او عام في كل من كفر وصد أضل أعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من بتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل واعمالهم ما عملوه في كفرهم من صلة الارحام واطعام الطعام وعمارة المسجد الحرام او ماعملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل اله والذين آمنوا وعملوا الصالحات هم ناس من قريش او من الانصار او من اهل الكتاب او عام وآمنوا بما نزل لى محمد وهو القرآن وتخصيص الايمان بالنزل على رسوله من بين ما يجب الايمان به لتعظيم شأنه واكد ذلك بالجملة الاعتراضية وهى قوله وهو الحق من ربهم اى القرآن وقيل ان دين محم هو الحق اذا لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره كفر عنهم سيئاتهم ستر بايماتهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصى لرجوعهم عنها وتوبتهم وأصلح بالهم اى حالهم وشانهم بالتوفيق في امور الدين وبالتسليط علىالدنيا بما اعطاهم

ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم (3) فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم (4) سيهديهم ويصلح بالهم (5)

ذلك بان الذين كفروا واتبعوا البطل
من النصرة والتأييد ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعا الحق من ربهم ذلك مبتدأ وما بعده خبره اى ذلك الامر وهو اضلال اعمال احد الفريقين وتكفير سيآت الثاني والاصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاءالحق وهو القران كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله اى يبين الله للناس امثالهم والضمير راجع الى الناس او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم وقد جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكافرين واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيآت مثلا لفوز الابرار فإذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبه التى فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لا ان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء ولان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته حتى اذا أثخنتموهم أكثرتم فيهم القتل فشدوا الوثاق فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به والمعنى فشدوا وثاق الاسارى حتى لا يفلتوا منكم فإما منا بعد اى بعد ان تاسروهم وإما فدا منا وفداء منصوبان بفعلهما مضمرين اى فاما تمنون منا او تفدون قداء والمعنى والتخيير بين الامرين بعد الاسريين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يغادوهم وحكم اسارى المشركين عندنا القتل او الاسترقاق والمن والفداء المذكوران في الاية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين لأن سورة براء من آخر ما نزل عن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق او المراد بالمن ان يمن

عليهم بترك القتل وليسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وبالفداء ان يفادى بأساراهم اسارى المسلمين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن ابى حنيفة رحمه الله وهو قولهما والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال وبغيره لئلا يعودوا حربا علينا وعند الشافعى ورحمه الله تعالي للامام ان يختار احد الامور الاربعة القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن حتى تضع الحرب أوزارها اثقالها وآلاتها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع وقيل اوزارها آثامها يعنى حتى تترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم بان يسلموا وحتى لا يخلو من ان يتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمه الله انهم لا يزالون على ذلك أبدا الى ان لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم

ويدخلهم الجنة عرفها لهم (6) يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (7) والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم (8) ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم (9) أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها (10) ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (11) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم (12) وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم (13)

ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم
شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابى حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار وذلك حين لا تبقى شوكة المشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل ذلك اى الامر ذلك فهو مبتدأ وخبر أو فعلوا بهم ذلك فهو في محل النصب ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بغير قتلا ببعض اسباب الهلاك كالخسف او الرجفة او غير ذلك ولكن امركم بالقتال ليبلوا بعضكم ببعض اى

المؤمنين بالكافرين تمحيصا للمؤمنين وتمحيقا للكافرين والذين قتلوا بصرى وحفص قاتلوا غيرهم في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم الى طريق الجنة او الى الصواب في جواب منكر ونكير ويصلح بالهم يرضى خصماءهم ويقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم عن مجاهد عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يحتاجون ان يسالوا او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله اى دين اله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام والذين كفروا في موضع رفع بالابتداء والخبر فتعسا لهم وعطف قوله وأضل أعمالهم على الفعل الذى نصب تعسا لأن المعنى فقال تعسا لهم والتعس العثور وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرد في الدنيا القتل وفى الآخرة التردى في النار ذلك اى التعس والضلال بأنهم كرفهوا ما أنزل الله اى القرآن فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الارض يعنى كفار امتك فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم اهلكهم هلال استئصال وللكافرين مشركى قريش امثالها امثال تلك الهلكة لان التدمير يدل عليها ذلك اى نصر المؤمنين وسموء عاقبة الكافرين بأن الله مولى الذين آمنوا وليهم وناصرهم وأن الكافرين لا مولى لهم اى لا ناصر لهم فإن الله مولى العباد جميعا من جهة الاختراع وملك التصرف فيهم ومولى المؤمنين خاصة من جهة النصر إن الله يدخل الذين آمنوا

أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم (14) مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم (15)

وعملوا الصلحت جنت تجرى من تحته الانهر
وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا اياما قلائل ويأكلون غافلين غير متفكرين في العاقبة كما تأكل الأنعام في معالفها ومسارحها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام وكأين

من قرية اى كم من قرية للتكثير وأراد بالقرية اهلها ولذكل قال اهلكناهم هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك اى وكم من قرية أشد قوة من قومك الذين اخرجوك اى كانوا سبب خروجك أهلكناهم فلا ناصر لهم اى فلم يكن لهم من ينصرهم ويدفع العذاب عنهم أفمن كان على بينةمن ربه اى على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن زين له سوء عمله هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله وقال سوء عمله واتبعوا أهواءهم للحمل على لفظ من ومعناه مثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن التى وعد المتقون عن الشرك فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة فولك التي فيها انهار او حال اى مسقرة فيها انهار من ماء غير آسن غير متغير اللون والريح والطعم يقال اسن الماء اذا تغير طعمه وريحه اسن مكى وأنهار من لبن لم يتغير طعمه كما تتغير ألبان الدنيا الى الحموضة وغيرها وانهار من خمر لذة تأنيث للذيذ وهو لاذيذ للشاربين اى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر وأنها من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم مثل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما حارا في النهاية فقطع أمعاءهم والتقدير أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار وهو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفى لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله وفائدة حذف حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين التمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك

ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم (16) والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم (17) فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم (18) فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم (19) ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها

القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم (20)

ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
الانهار وبين النار التى يسقى اهلها الحميم ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالانهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لاولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وتبعوا اهواءهم والذين اهتدوا بالايمان واستماع القرآن زادهم الله هدى اى بصيرة وعلما او شرح صدورهم وآتاهم تقواهم اعلنهم عليها او آتاهم جزاء تقواهم او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اى ينتظرون ان تأتيهم اى اتيانها فهو بدل اشتمال من الساعة بغتة فجأة فقد جاء اشراطها علاماتها وهو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان وقيل قطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم قال الأخفش التقدير فأنى لهم ذكراهم اذا جاءتهم فاعلم أنه ان الشان لا إله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والمعنى فاثبت على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك وفي شرح التأويلات جاز ان يكون له ذنب فامره بالاستغفار له ولكنا لا نعلمه غير ان ذنب الانبياء ترك الافضل دون مباشرة القبيح وذنوبنا مباشر القبائح من الصغائر والكبائر وقيل ألفاآت في هذه الايات لعطف جملة على جملة بينهما اتصال والله يعلم متقلبكم في معايشكم ومتاجركم ومثواكم ويعلم حيث تستقرون من منازلكم او متقلبكم في حياتكم ومثواكم في القبور أو متقلبكم في اعمالكم ومثواكم في الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر وسئل سفيان بن عبينة عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم ويقول الذين آمنوا لا نزلت سورة فيها ذكر الجهاد فاذا انزلت سورة في معنى الجهاد محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل ان القتال نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير

منسوخ الى يوم القيامة وذكر فيها القتال اى امر فيها بالجهاد رأيت الذين في قلوبهم مرض نفاق اى رأيت المنافقين فيما بينهم

طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم (21) فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم (22) أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم (23) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (24) إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم (25) ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم (26)

ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت
يضجرون منها ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت اى تشخص أبصارهم جبنا وجزعا كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت فأولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستأنف اى طاعة وقول معروف خير لهم فاذا عزم الامر فاذا جد الامر ولزمهم فرض القتال فلو صدقوا الله في الايمان والطاعة 6لكان الصدق خير لهم من كراهة الجهاد ثم التفت من الغيبة الى الخطاب بضرب من التوبيخ والارهاب فقال فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم اى فلعلكم ان اعرضتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وخبر عسى ان تفسدوا والشرط اعتراض بين الاسم والخبر والتقدير فهل عسيتم ان تفسدوا في الارض تقطعوا ارحامكم ان توليتم اولئك اشارةالى المذكورين الذين لعنهم الله أبعدهم عن رحمته فأصمهم عن استماع الموعظة وأعمى أبصارهم عن ابصارهم طريق الهدى أفلا يتدبرون القرآن فيعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصى وام في أم على قلوب أقفالها بمعنى بل وهمزة التقدير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر ونكرت القلوب لأن المراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك

والمراد بعض القلوب وهى قلوب المنافقين واضيفت الاقفال الى القلوب لان المراد الاقفال المختصة بها وهى اقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح نحو الرين والختم والطبع إن الذين ارتدوا على ادبارهم من بعدما تبين لهم الهدى اى المنافقون رجعوا إلى الكفر سرا بعد وضوح الحق لهم الشيطان سول زين لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر الان نحو ان زيدا عمرو مر به وأملى لهم ومد لهم في الآمال والامانى واملى ابو عمر واى امهلوا ومد في عمرهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اى المنافقون قالوا لليهود ستطيعكم في بعض الامر اى عداوة محمد والقعود عن نصرته والله يعلم إسرارهم على المصدر من اسر حمزة وعلى

فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم (27) ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم (28) أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم (29) ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم (30) ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم (31) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم (32) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم (33)

فكيف إذا توفتهم الملئكة يضربون وجوههم وادبرهم
وحفص اسرارهم غير جمع سر فكيف إذا توفتهم الملائكة اى فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ يضربون وجوههم وأدبارهم عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا يضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك اشارة الى التوفى الموصوف بأنهم بسبب انهم اتبعوا ما أسخط الله من معاونة الكافرين وكرهوا رضوانه من نصرة المؤمنين فأحبط أعمالهم أم حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم احقادهم والمعنى اظن المنافقون ان الله تعالى لا يبرز بغضهم وعداوتهم للمؤمنين ولو نشاء للأريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم وهو ان يسمهم الله بعلامة بها وعن انس رضى الله عنه ماخفى على رسول الله صلى

الله عليه وسلم بعد هذه الآية احد من المافقين كان يعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول في نحوه واسلوبه الحسن من فحوى كلامهم لانهم كانوا لا يقدرون على كتمان ما في انفسهم واللام في فلعرفتهم داخلة في جواب لو كالتى في لاريناكم كررت في المعطوف واما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف والله يعلم أعمالكم فيميز خيرها من شرها ولنبلونكم بالقتال أعلاما لا استعلاما أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ في اظهار العدل حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على الجهاد اى نعلم كائنا ما علمناه انه سيكون ونبلوا اخباركم اسراركم وليبلونكم حتى يعلم ويبلوا ابو بكر وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فإنك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وعذبتنا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه يعنى المطعمين يوم بدر وقد مر من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا الرسول لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم التى عملوها في مشاقة الرسول اى سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم بالنفاق او بالرياء

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم (34) فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم (35) إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم (36) إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم (37) ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم (38)

إن الذين كفروا وصوا عن سبيل الله
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلا تهنوا فلا تضغفوا ولا تذلوا للعدو وتدعوا الى السلم وبالكسر حمزة وابو بكر وهما المسالة اى ولا تدعوا الكفار الى الصلح وأنتم الأعلون اى

الاعلبون وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهى والله معكم بالنصرة اى ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن ينقصكم اجر اعمالكم إنما الحياة الدنيا لعب ولهو تنقطع في أسرع مدة وإن تؤمنوا بالله ورسوله وتتقوا الشرك يؤتكم أجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم أموالكم اى لا يسألكم جميعها بل ربع العشر والفاعل الله اوالرسول وقال سفيان بن عبينة غيضا من فيض إن يسألكموها فيحفكم اى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شىء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح واحفى شاربه اذا استأصله تبخلوا ويخرج إبالله او البخل أضغانكم عند الامتناع او عند سؤال الجميع لان عند مسألة المال تظهر العداوة والحقد ها أنتم ها للتنبيه هؤلاء موصول بمعنى الذين صلته تدعون اى انتم الذين تدعون لتنفقوا في سبيل الله هى النفقة في الغزو أو الزكاة كأنه قال الدليل على انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم من يبخل بالرفع لان من هذه ليست للشرط اى فمنكم ناس يبخلون به ومن يبخل بالصدقة واداء الفريضة فانما يبخل عن نفسه اى يبخل عن داعى نفسه لا عن داعى ربه وقيل يبخل على نفسه يقال بخلت عليه وعند والله الغني وأنتم الفقراء اى انه لا يامر بذلك لحاجته اليه لانه غنى عن الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب وان تتولوا وان تعرضوا ايها العرب عن طاعته وطاعة رسوله والانفاق في سبيله وهو معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم يخلق قوما خيرا منكم واطوع وهم فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومة والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناله رجال من فارس ثم لا يكونوا أمثالكم اى ثم لا يكونوا في الطاعة أمثالكم بل اطوع منكم

إنا فتحنا لك فتحا مبينا (1)

سورة الفتح
بسم الله الرحمن الرحيم
إنا فتحنا لك فتحا مبينا
سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم
إنا فتحنا لك فتحا مبينا الفتح الظفر بالبلدة عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه مغلق مالم يظفر به فاذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجىء به لفظ على الماضى لانها فى تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر عنه وهو الفتح مالا يخفى وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة فرمى المسلمون المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وسألوا الصلح فكان فتحا مبينا وقال الزجاج كان في فتح الحديبية آية للمسلمين عظيمة وذلك انه نزح ماؤها ولم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه في البئر فدرت بالماء حتى شرب جميع الناس وقيل هو فتح خيبر وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا علىاهل مكة ان يدخلها انت واصحابك من قابلى لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهى الحكومة ليغفر لك الله قيل الفتح ليس بسبب المغفرة والتقدير انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستغفر لك الله ومثله اذا جاء نصر الله والفتح الى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران وقيل الفتح لم يكن ليغفر له بل لاتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز ولكنه لما عدد عليه هذه النعم وصلها بما هو اعظم النعم كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة او كذا لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل والآجل ما تقدم من ذنبك وما تأخر يريد جميع ما فرط منك او ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد ويتم نعمته عليك باعلاء دينك وفتح البلاد على يدك ويهديك صراطا مستقيما يثبتك على الدين المرضى وينصرك الله نصرا عزيزا قويا لاذل بعده ابدا هو الذى انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اى انزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح ليزدادوا يقينا الى يقينهم وقيل السكنية الصبر على ما أمر الله والثقة بوعد الله والتعظيم لامر الله ولله جنود

إنا فتحنا لك فتحا مبينا (1)

السموت والأرض وكان الله عليما حكيما
السموت والأرض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اى ولله جنود السموات والارض يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه الظانين بالله ظن السوء وقع السوء عبارة عن رداءة الشىء وفسادة يقال فعل سوء اى مسخوط فاسدوا المراد ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء مكى وابو عمرو اى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وغيرهما دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها السوء والسوء كالكره والكره والضعف والضعف الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شىء واما السوء فجاز مجرى الشر الذى هو نقيض الخير وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض فيدفع كيد من عادى نبيه عليه السلام والمؤمنين بما شاء منها وكان الله عزيزا غالبا فلا يرد بأسه حكيما فيما دبر إنا أرسلناك شاهدا تشهد على امتك يوم القيامة وهذه حال مقدرة ومبشرا للمؤمنين بالجنة ونذيرا للكافرين من النار لتؤمنوا بالله ورسوله والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولامته وتعزروه وتقووه بالنصر وتوقروه وتعظموه وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزيز الله تعزيز دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فجعل الاولين للنبى صلى الله عليه وسلم فقد ابعد ليؤمنوا مكى وابو عمرو والضمير للناس وكذا الثلاثة الاخيرة بالياء عندهما بكرة صلاة الفجر وأصيلا الصلوات الأربع إن الذين يبايعونك اى بيعة الرضوان ولما قال إنما يبايعون الله اكده تأكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يريد ان

إنا فتحنا لك فتحا مبينا (1) ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما (2) وينصرك الله نصرا

عزيزا (3) هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (4)

فمن نكث فانما ينكث على نفسه
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تعلو ايدى المبايعين هى يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كفوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وانما يبايعون الله خبران فمن نكث نقض العهد ولم يف بالبيعة 6فأنما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبدالله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جدبن قيس وكان منافقا اختبأ تحت بطن بعيره ولم يسر مع القوم ومن أوفى بما عاهد يقال وفيت بالعهد وأوفيت به ومنه قوله اوفوا بالعقود والموفون بعدهم عليه الله حفص فسيؤتيه وبالنون حجازى وشامى اجرا عظيما الجنة سيقول لك اذا رجعت من الحديبية المخلفون من الاعراب هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واسلم واشجع والديل وذلك انه عليه السلام حين اراد السير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا يذهب الى قوم غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فقاتلهم وظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة شغلتنا أموالنا وأهلونا هى جمع اهل اعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم فاستغفر لنا ليغفر لنا الله تخلقنا عنك يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في اعتذارهم وان الذى خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق فطلبهم الاستغفار ايضا ليس بصادر عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة ضرا حمزة وعلى أو أوراد بكم نفعا من غنيمة وظهر بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الأهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم زينه

الشيطان وظننتم ظن السوء من علو الكفر وظهور الفساد وكنتم قوما بورا جمع بائر كعائذ وعوذ من بار الشىء هلك وفسد اى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او

ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما (5)

ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكفرين سعيرا هالكين عند الله مستحقين لسخطه وعقابه ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين اى لهم فاقيم الظاهر مقام الضمير للايذان بان من لم يجمع بين الايمانين بالله والايمان برسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك السموت والأرض يدبره تدبير قادر حكيم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يغفر ويعذب بمشيئته وحكمته وحكمته المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين وكان الله غفورا رحيما سبقت رحمته غضبه سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم اى غنائم خيبر لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله كلم الله حمزة وعلى اى يريدون ان يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيئا قل لن تتبعونا الى خيبر وهو اخبار من الله بعد اتباعهم ولا يبدل القول لديه كذلكم قال الله من قبل من قبل انصرافهم البالمدينة ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية دون غيرهم فسيقولون بل تحسدوننا اى لم يامركم الله به بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنيمة بل كانوا لا يفقهون من كلام الله إلا قليلا الا شيئا قليلا يعنى مجرد القول والفرق بين الاضرابين ان الاول ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه 6قل للمخلفين من الأعراب هم الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون إلى قوم أولى باس شديد يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم ابو بكر رضى الله عنه لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف وقيل هم فارس وقد دعاهم عمر رضى الله عنه تقاتلونهم أو يسلمون اى يكون احد

الامرين اما المقاتلة او الاسلام ومعنى يسلمون على هذا التاويل ينقادون لان فارس مجوس تقبل منهم الجزية وفي الآية دلالة صحة خلاف الشيخين حيث وعدهم الثواب على طاعة الداعى عند عوته بقوله فان تطيعوا من دعاكم الى قتاله يؤتكم الله اجرا حسنا فوجب ان يكون الداعى مفترض الطاعة وإن تتولوا كما توليتم من قبل اى عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما في

ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما (5)

ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج
الآخرة ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج نفى الحرج عن ذوى العاهات في التخلف عن الغزو ومن يطع الله ورسوله في الجهاد وغير ذلك يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعرض عن الطاعة يعذبه عذابا أليما ندخله ونعذبه مدنى وشامى لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها ان النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل بالحديبية بعث خراش بن امية الخزاعى رسولا الى مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال انى اخافهم على نفسى لما عرف من عداوتي اياهم فبعث عثمان بن عفان فخبرهم انه لم يات الحرب وانما جاء زائرا للبيت فوقروه واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه على ان يناجزوها قريشا ولا يفروا تحت الشجرة وكانت سمرة وكان عدد المبايعين الفا واربعمائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه 6فأنزل السكينة عليهم اى الطمأنينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم وأثابهم وجازاهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة ومغانم كثيرة يأخذونها هى مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم وكان الله عزيزا منيعا فلا يغالب حكيما فيما يحكم فلا يعارض وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها هى ما اصابوه مع النبى صلى الله عليه وسلم وبعده الى يوم القيامة فعجل لكم هذه المغانم يعنى مغانم خيبر وكف ايدى الناس عنكم

يعنى ايدى اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاءوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا وقيل ايدى اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين وعبرة يعرفون بها انهم من الله عز وجل بمكان وانه ضامن نصرتهم والفتح عليهم فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة على هذه اى فجعل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى هى مغانم هوازن في غزوة حنين لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها اى قدر عليها واستولى واظهركم عليها ويجوز في اخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها

ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما (5)

وكان الله على كل شىء قديرا
تقديره وقضى الله اخرى قد احاط بها واما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد احاط الله بها خبر المبتدأ وكان الله على كل شىء قديرا قادرا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا او من حلفاء اهل خيبر لولوا الأدبار لغلبوا وانهزموا ثم لا يجدون وليا يلى امرهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله في موضع المصدر المؤكد اى سن الله غلبة انبيائه سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلى التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذى كف ايديهم عنكم اى ايدى اهل مكة وايديكم عنهم عن اهل مكة يعنى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بدما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رضى الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان في غزوة الحديبية لما روى ان عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وادخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما اظهر المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت ببطن مكة اى بمكة او بالحديبية لان بعضها منسوب الى الحرم من بعد ان اظفركم عليهم اى اقدركم وسلطكم 6وكان الله بما تعملون بصيرا وبالياء ابو عمرو هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى هو ما يهدى الى الكعبة ونصبه عطفا على كم

في صدوكم اى وصدوا الهدى معكوفا ان يبلغ محبوسا ان يبلغ ومعكوفا حال وكان عليه السلام ساق سبعين بدنة محله مكانه الذى يحل فيه نحره اى يجب وهذا دليل على ان المحصر محل هديه الحرم والمراد المحل المعهود وهو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات بمكة لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا أن تطؤهم بدل اشتمال منهم او من الضميرالمنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم معرة إثم وشدة وهى مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وهو الكفارة اذا قتله خطأ وسوء قالة المشركين انهم فعلوا باهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والاثم اذا قصر بغير علم متعلق بأن تطؤهم يعنى أن تطؤهم غير عالمين بهم والوطء عبارة عن الايقاع والابادة والمعنى انه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم فقيل

ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما (5) ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا (6) ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما (7) إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (8) لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا (9)

ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا
ولولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وقوله ليدخل الله في رحمته من يشاء تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدى عن اهل مكة والمنع عن قتلهم صونا لما بين أظهرهم من المؤمنين كانه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم او ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز المسلمون من الكافرين وجواب لولا محذوف اغنى عنا جواب لو ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير اولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا لاذين كفروا هو الجواب تقديره ولولا ان

تطؤا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ولو كانوا متميزين لعذبناهم بالسيف منهم من اهل مكة عذابا اليما والعامل في إذ جعل الذين كفروا اى قريش لعذبنا اى لعذبناهم في ذلك الوقت او اذكر في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين المراد بحمية الذين كفروا هى الانفة وسكينة المؤمنين وهى الوقار ما يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبدالعزى ومكر زبن حفص على ان يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله اهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فأنا اشهد انى رسول الله وانا محمد بن عبدالله فهم المسلمون ان يابوا ذلك ويشمئزوا منه فانزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى الجمهور على انها كلمة الشهادة وقيل بسم الله الرحمن الرحيم والاضافة الى التقوى باعتبار انها سبب التقوى واساسها وقيل كلمة اهل التقوى وكانوا اى المؤمنون احق بها من غيرهم وأهلها بتأهيل الله اياهم وكان الله بكل شىءعليما6 فيجرى الامور على مصالحها لقد صدق الله رسوله الرؤيا اى صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصرا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما (10)

بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ءامنين محلقين

انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبدالله بن أبى وغيره والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت بالحق متعلق بصدق اى صدقه فيما راى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق اى بالحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن الخالص وبين من في قلبه مرض ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذى هو نقيض الباطل او بالحق الذى هو من اسمائه وجوابه 6لتدخلن المسجد الحرام وعلى الاول هو جواب قسم محذوف إن شاء الله حكاية من الله تعالى ما قاله رسوله لاصحابه وقص عليهم او تعليم لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متادبين بأدب الله ومقتدين بسنته آمنين حال والشرط معترض محلقين حال من الضمير في آمنين رءوسكم6 اى جميع شعورها ومقصرين بعض شعورها لا تخافون حال مؤكدة فعلم مالم تعلموا من الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل 6فجعل من دون ذلك اى من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الفتح الموعود هو الذى ارسل رسوله بالهدى بالتوحيد ودين الحق6 اى الاسلام ليظهره ليعليه على الدين كله على جنس الدين يريد الاديان المختلفة من اديات المشركين واهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العزة والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهار بالحجج والايات وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن وعن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينه والتقدير وكفاه الله شهيدا وشهيد تمميز او حال محمد خبر مبتدأ اى هو محمد لتقدم قوله هو الذى ارسل رسوله ام مبتدأ خبر رسول الله وقف عليه نصير والذين معه اى اصحابه مبتدا والخبر اشداء على الكفار او محمد مبتدا ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على المبتدا واشداء خبر عن الجميع ومعناه غلاظ رحماء بينهم متعاطفون وهو خبر ثان وهما جمعا شديد ورحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وبلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمنا الا صافحه وعانقه تراهم ركعا راكعين سجدا ساجدين 6يبتغون حال كما ان ركعا وسجدا كذلك فضلا من الله ورضوانا سيماهم علامتهم في وجوههم من اثر

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما (10) سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا (11) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا (12) ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا (13) ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما (14) سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا (15) قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما (16) ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما (17) لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا (18) ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما (19) وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما (20) وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا (21) ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا (22) سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (23) وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا (24) هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (25) إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل

شيء عليما (26) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا (27) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا (28) محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما (29)

السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

يأيها الذين ءامنوا لا تقدموا

السجود اى من التأثير الذى يؤثره السجود وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما وصلوا بالليل لقوله عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك اى المذكور مثلهم صفتهم في التوراة وعليه وقف ومثلهم في الانجيل مبتدأ خبره كزرع اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا فرخ فآزره قواه فآزره شامى فاستغلظ فصار من الرقة إلى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبة جمع ساق يعجب الزراع يتعجبون من قوته وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى رضوان الله عليهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومن في منهم للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من

الاوثان يعنى فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان وقولك انفق من الدراهم اى اجعل نفقتك هذا الجنس وهذه الآية ترد قول الروافض انهم كفروا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم اذ الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انما يكون ان لو ثبتوا على ما كانوا عليه في حياته

سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا الا تقدموا قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه وحذف المفعول ليتناول كل ما وقع في النفس مما يقدم من القول او الفعل وجاز ان لا يقصد مفعول والنهى متوجه الى نفس التقدمة كقوله هو الذى يحيى ويميت او هو من قدم بمعنى تقدم كوجه بمعنى توجه ومنه مقدمة الجيش وهى الجماعة المتقدمة منه ويؤيده قراءة

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم (1) يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (2)

بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم

يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تاءى تتقدموا بين يدى الله ورسوله حقيقة قولهم جلست بين يدى فلان ان تجلس بين الجهتين المسامنتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشىء باسم غيره اذا جاوره في هذه العبارة ضرب من المجاز الذى يسمى تمثيلا وفيه فائدة جليلة وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة ويجوز ان يجرى مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله اى سرنى حسن حال زيد فكذلك هنا المعنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به هذا المسلك وفى هذا تمهيد لما نقم منهم من رفع أصواتهم

فوق صوته عليه السلام لان من فضله الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص كان ادنى ما يجب له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت وعن الحسن ان اناسا ذبحوا يم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعيدوا ذبحا اخر وعن عائشة رضى عنها انها نزلت في النهى عن صوم يوم الشك واتقوا الله6 فانكم ان اتقيتموه عافتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها ان الله سميع لما تقولون عليم بما تعملون وحق مثله ان يتقى يا أيها الذين آمنوا إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتحريك منهم لئلا يغفلوا عن تأملهم لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى اى اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته لديكم واضحة لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اى اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر اولا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة والسكينة والتعظيم ولما نزلت هذه الآية ما كلم النبى صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر الا كاخى السرار وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهورى الصوت وكان اذا كلم رفع صوته وربما كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وكاف التشبيه في محل النصب اى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه بالمخافتة وإنما نهوا عن جهر مخصوص أعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها أن تحبط أعمالكم منصوب الموضع على انه المفعول له متعلق بمعنى النهى والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط أعمالكم أى لخشية حبوطها

إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (3) إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (4)

وأنتم لا تشعرون إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله على تقدير حذف المضاف وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله6 ثم اسم ان عند قوله رسول الله والمعنى يخفضون اصواتهم في مجلسه تعظيما له أولئك مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وتم صلة الذين عند قوله للتقوى وأولئك مع خبره خبران والمعنى اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة وعن عمر رضى الله عنه اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد لهم مغفرة وأجر عظيم جملة اخرى قيل نزلت في الشيخين رضى الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت وهذه الآية بنظمها الذى وتبت عليه من إيقاع الغاضين اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدا امس الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما امره دالة على غاية الاعتداد والارتضاء بفعل الخافضين اصواتهم وفيها تعريض لعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات نزلت في وفد بنى تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد وفيهم الافرع بن حابس وعيينه بن حصن ونادوا النبى صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته وقالوا اخرج الينا يا محمد فان مدحنازين وذمنا شين فاستيقظ وخرج والوراء الجهة التى بوار بها عنك لشخص بظلمه من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة نشأت من ذلك المكان والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وهى فعلة بمنى مفعولة كالفيضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم وهى قراءة يزيدوالمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لكل منهن حجرة ومناداتهم من ورائها لعلهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له او نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه السلام فيها ولكنها اجمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفعل وان كان مسند الى جميعهم فانه يجو ان يتولاه بعضهم وكا الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا اكثرهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فهم من قصد استثناؤه ويحتمل ان يكون المراد النفى العام اذ القلة تقع موقع النفى وورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه ما لا يخفى من اجلال محل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها

لتسجيل على الصائحين به بالسفه والجهل ومنها ايقاع لفظ الحجرات كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها التعريف باللام دون الاضافة ولو تأمل متأمل من اول السورة الى اخر هذه الآية لوجدها كذلك فتامل كيف ابتدا بايجاب ان تكون الامور التى تنتمى الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير تقيد ثم اردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط للثانى ثم اثنى على الغاضين اصواتهم ليدل على عظيم موفعه عند الله ثم عقبه بما هو اطم وهجنته أتم من الصباح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته من وراء الجدر كما

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم (5) يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (6) واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (7)

ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم بصاح بأهون الناس قدر الينبه على فظاعة ما جسروا عليه لان من رفع الله قدره على ان يجهر له بالقول كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ في التفاحش مبلغا ولو أنهم صبروا6 اى ولو ثبت صبرهم ومحل انهم صبروا الرفع على الفاعلية والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وقيل الصبر من لا يتجرعه الاخر وقوله حتى تخرج اليهم يفيد انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان خروجه اليهم لكان الصبر 6خيرا لهم في دينهم والله غفور رحيم بلغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا 6يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ اجمعوا انها نزلت في الوليد بن عقبه وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا إلى نبى المصطق وكانت بينه وبينهم احنة في الجاهلية فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين اليه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول

الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فبعث خالد بن الوليد فوجدهم يصلون فسلموا إليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والانباء كانه قال اى فاسق جاءكم بأى نبأ فتبينوا فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا بقول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه وفى الآية دلالة قبول خبر الواحد العدل لأنا لو توقفنا في خبره لسوينا بينه وبين الفاسق ولخلا الخصيص به عن الفائدة والفسوق الخروج من الشىء ويقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها واخرجت مافيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشىء اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد بركوب الكبائر حمزة وعلى فتثبتوا والتثبت والنبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف أن تصيبوا قوما لئلا تصيبوا بجهالة حال يعنى جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصه 6فتصبحوا فتصبروا على مافعلتم نادمين الندم ضرب من الغم وهو ان تغنم على ما وقع منك نتمنى انه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبه لها دوام واعلموا ان فيكم رسول الله فلا تكذبوا فان الله يخبره فينهتك ستر الكاذب او فارجعوا اليه اطلبوا رايه ثم قال مستأنفا لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم لوقعتم في الجهد والهلاك وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله ولكن الله حبب اليكم الإيمان وقيل هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ولما كانت صفة الذين حبب الله اليهم الايمان غايرت صفة المتقدم ذكرهم وقت لكن في

فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (8) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (9) إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (10)

وزينة في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق

حال موقعها من الاستدراك وهو مخالفة ما بعدها لما قبله نفيا واثباتا وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر وهو تغطية نعم الله وغمطها بالجحود والفسوق وهو الخروج عن محجة الايمان بركوب الكبائر والعصيان وهو ترك الانقياد لما امر به الشارع اولئك هم الراشدون اى اولئك المستثنون هم الراشدون يعنى اصابوا طريق الحق ولم يميلو ا عن الاستقامة والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة 6فضلا من الله ونعمة الفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام والانتصاب على المفعول له اى حبب وكره للفضل والنعمة والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على الافاضل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك ابن أبى بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد اذانا نتنه فقال عبدالله بن رواحه والله ان بول حماره لاطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول له صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم ونزلت وجمع اقتتلوا حملا على المعنى لان الطائفتين في معنى القوم والناس وثنى في فاصلحوا بينهما نظر الى اللفظ فان بغت احداهما على الاخرى البغى الاستطالة والظلم واباء الصلح فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء اى ترجع والفىء الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت فاذا كفت وقبضت عن الحرب ايديها تركت الى أمر الله المذكور في كتابه من الصلح وزوال الشحناء فان فاءت عن البغى الى امر الله فأصلحوا بينهما بالعدل بالانصاف واقسطوا واعدلوا وهو امر استعمال القسط على طريق العموم بعد ما امر به في اصلاح ذات البين إن الله يحب المقسطين العادلين والقسط الجور والقسط العدل والفعل منه اقسط وهمزته للسلب اى زال القسط وهو الجوار إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم هذا تقرير لما الزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم ينقص عنها ثم قد جرت العادة على انه اذا نشب مثل ذلك بين الاخوين ولا الزم السائر ان

يتناهضوا في رفعه وازاحته بالصلح بينهما فالاخوة في الدين احق

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (11)

واتقوا الله لعلكم ترحمون
بذلك اخوتكم يعقوب واتقوا الله لعلكم ترحمون اى واتقوا الله فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم مرجوا والآية تدل على ان البغى لا يزيل اسم الايمان لانه سماهم مؤمنين مع وجود البغى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو في الاصل جمع فائم كصوم وزورق في جمع صائم وزائر واختصاص القوم بالرجال صريح الآية اذ لو كانت النساء داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله ... وما أدرى ولست اخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء ...
واما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الاناث لأتهن توابع لرجالهن وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين ان يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وان يقصد افادة الشياع وان يصير كل جماعة منهم منهية من السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشان الذى كانوا عليه وقوله عسى ان يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف ورد مورد جوبا المستخير عن علة النهى والا فقد كان حقه ان يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد ان المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر اذ لا اطلاع للناس الا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر والذى يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغى ان لا يجترىء احد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذ رآه رث الحال او ذا

عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله اخلص ضميرا واتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى وعن ابن مسعود رضى الله عنه البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلت لخشيت ان احول كلبا ولا تلمزوا انفسم ولا تطعنوا اهل دينكم واللمز الطعن والضرب باللسان ولا تلمزوا يعقوب وسهل والمؤمنون كنفس واحدة فاذا عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لأن من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة ولا تنابزوا بالألقاب التنابز بالألقاب التداعى بها والنبز لقب السوء والتقليب المنهى عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له فاما ما يحبه فلا بأس به وروى ان قوما من بني تميم استهزءوا ببلال وخباب وعمار وصهيب فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة وكانت قصيرة وعن انس رضى الله عنه عيرت نساء النبى صلى الله عليه وسلم ام سلمة

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (12)

بئس الاسم الفسوق بعد الايمن ومن لم يتب فأولئك هم الظلمون بالقصر وروى انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانه يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرام او باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم ان يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان وبين الفسق الذى يخطره الايمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتائمهم لمن اسلم من

اليهود يا يهودى يا فاسق فنهو عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه ومن لم يتب عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون وحد وجمع للفظ من ومعناه يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمامور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله إن بعض الظن إثم قال الزجاج هو ظنك باهل الخير سوء فاما اهل الفسق فلما ان نظن فيهم مثل الذى ظهر منهم او معناه اجتنابا كثيرا او احترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الآثام فعال منه كالنكال والعذاب ولا تجسسوا اى لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده ولا يغتب بعضكم بعضا الغيبه الذكر بالعيب في ظهر الغيب وهى من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفي الحديث هو ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبه والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ميتا مدنى وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة وصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر عل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حى وانتصب ميتا على الحال من اللحم

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (13)

فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحي
او من اخيه ولما قررهم بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب

ذلك بقوله فكرهتموه اى فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل فليتحقق ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الذين واتقوا الله ان الله تواب رحيم التواب البليغ في قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وروى ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شىء فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما مالى أرى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما قال انكما قد اغتبتما ومن اغتاب مسلما فقد اكل لحمه ثم قرا الآية وقيل غيبة الخلق انما تكون من الغيبة عن الحق يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى من آدم وحواء او كل واحد منكم من اب وام فما منكم من احد الا وهو يدلى بمثل ما يدلى به الاخر سواء بسواء فلا معنى للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسمت الشعوب لان القبائل تشعبت منها لتعارفوا اى انما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعترى الى غير آبائه لا ان تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاضل في الانساب ثم بين الخصلة التي يفضل بها الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال إن اكرمكم عند الله اتقاكم في الحديث من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله عن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى وروى انه صلى الله عليه وسلم طاف يوم فتح مكه فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذى اذهب عنكم غيبة الجاهليةوتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعن يزيد ابن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول من اشترانى فعلى شرط ان لا يمنعنى من الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه

بعضهم فمرض فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توفى فحضر دفنه فقالوا في ذلك شيئا فنزلت إن الله عليم كرم القلوب وتقواها خبير بهمهم النفوس في هواها قالت الاعراب اى بعض الاعراب لان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر وهم اعراب بنى اسد قدموا المدينة في سنة جدبة فأظهروا

قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (14) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (15) قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم (16) يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين (17) إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (18)

ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا
الشهادة يريدون الصدقة ويمنون عليه آمنا اى ظاهر وباطنا قل لهم يا محمد لم تؤمنوا لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا أسلمنا فالايمان هو التصديق والاسلام الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم ان ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطا فيه القلب اللسان فهو ايمان وهذا من حيث اللغة واما في الشرع فالايمان والاسلام واحد لما عرف وفى لما معنى التوقع وهو دال على ان بعض هؤلاء قد آمنوا فيما بعد والآية تنقض على الكرامية مذهبهم ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان فان قلت مقتضى نظم الكلام ان قال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم قلت افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا فقيل قل لم تؤمنوا مع ادب حسن فلم يقل كذبتم تصريحا ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه واستغنى بقوله لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالايمان ولم يقل ولكن اسلمتم

ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان كالتسليم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به وليس قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم تكرير المعنى قول لم تؤمنوا فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب لدعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كانه قيل لهم ولكن قولوا اسلمنا حين لم نثبت مواطأة قلوبكم لالسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وإن تطيعوا الله ورسوله في السر بترك النفاق لا يلتكم لا يألتكم بصري من أعمالكم شيئا اى لا ينقصكم من ثواب حسناتم شيئا الت يألت وألات يليت ولات يليت بمعنى وهو النقص إن الله غفور يستر الذنوب رحيم بهدايتهم للتوبة عن العيوب ثم وصف المؤمنين المخلصين فقال إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ارتاب مطاوع رابه إذا اوقعه في الشك مع التهمة والمعنى انهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه ولما كان الايقان وزوال الريب ملاك الايمان أفرااد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخى اشعار باستقراره في الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديد وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب او الشيطان او الهوى وان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وان بناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو صنيع عثمان في جيش العسرة وان يتناول

ق والقرآن المجيد (1) بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (2)

الله الرحمن الرحيم
ق والقرءان المجيد بل عجبو آأن جاءهم منذر منهم
الزكاة وكل ما يتعلق بالمال من اعمال البر وخبرالمبتدا الذى هو المؤمنون أولئك هم الصادقون اى الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب اعراب بنى اسد وهم الذين ايمانهم ايمان صدق وحق وقوله الذين آمنوا صفة لهم ولما نزلت هذه الاية جاءوا وحلفوا انهم مخلصون فنزل قل أتعلمون الله بدينكم اى اتخبرونه بتصديق

قلوبكم والله يعلم مافي السموت وما في الارض والله بكل شىء عليم من النفاق والاخلاص وغير ذلك يمنون عليك أن اى بان أسلموا يعنى باسلامهم والمن ذكر الايادى تعريضا للشكر قل لا تمنوا على اسلامكن بل الله يمن عليكم أي المنة لله عليكم أن هداكم بان هداكم او لان للايمان ان كنتم صادقين ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا انكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان بالله فلله المنة عليكم وقرىء ان هداكم إن الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون وبالياء مكى وهذا بيان لكونهم غير صادقين في دعواهم يعنى انه تعالى يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم لا يخفىعليه منه شىء فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وهو علام الغيوب

سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام في ق والقرآن المجيد بل عجبوا كالكلام في ص والرآن ذىالذكر بل الذين كفروا سوءا بسوءا لالتقائهما في اسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غير ممن الكتب ومن احاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وقوله بل عجبوا اى كفار مكة أن جاءهم منذر منهم ان محمد صلى الله عليه وسلم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا عدالته وامانته ومن كان كذلك لم يكن الا ناصحا لقومه خائفا ان ينالهم مكروه واذا علم ان مخوفا اظلمهم لزمه ان ينذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم

أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد (3) قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ (4) بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج (5) أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (6) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (7) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (8) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (9) والنخل باسقات لها طلع نضيد (10)

بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شىء واقرارهم بالنشأة الاولى مع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ثم عول على احد الانكارين بقوله فقال الكافرون هذا شىء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا دلالة على تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على انهم في قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه احين نموت ونبلى نرجع تنا نافع وعلى وحمزة وحفص ذلك رجع بعيد مستبعد مسنكر كفولك هذا قول بعيد اى بعيد من الوهم والعادة ويجوز ان يكون الرجع بمعنى الرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعاد الانكار هم ما انذروا به من البعث والوقف على ترابا على هذا حسن وناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى الرجوع ما دل عليه النذر من المنذر به وهو البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبادهم الرجع لان من لطف علمه حتى علم ما تنقص من الارض من اجساد الموتى وتاكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا وعندنا كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما أودعه وكتب فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة علبانهم جاءوا بما هو افظع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تفكر ولا تدبر فهم في امر مريج مضطرب يقال مرج الخاتم في الاصبع اذا اضطرب من سعته فيقولون تارة شاعر وطورا ساحر ومرة كاهن لا يثبتون على شىء واحد وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث ثم دلهم على قدرته على البعث فقال أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بغير عمد وزيناها بالنيرات وما لها من فروج من فتوق وشقوق اى انها سليمة من العيوب لافتق فيها ولا صداع ولا خلل والارض مددناها دحوناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت لولا هى لمالت وأنبتنا فيها من كل زوج صنف بهيج يبتهج به لحسنه تبصرة وذكرى لتبصر به وتذكر لكل عبد منيب راجع الى ربه مفكر في بدائع خلقه ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فأنبتنا به جنات وحب الحصيد اى

رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (11) كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (12) وعاد وفرعون وإخوان لوط (13) وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد (14) أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد (15) ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (16) إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (17)

وحب الزرع الذى من شانه ان يحصد كالحنط والشعير وغيرهما والنخل باسقات طوالا في السماء لها طلع هو كل ما يطلع من ثمر النخيل نضيد منضور بعضه فوق بعض لكثرة الطلع وتراكمه او لكثرة ما فيه من الثمر رزقا لعباد اى انبتناها رزقا للعباد لان الانبات في معنى الرزق فيكون رزقا مصدرا من غير لفظة أو هو مفعول له اى انبتناها لرزقهم واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا قد جف نباتها كذلك الخروج اى كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم لان احياء الموات كاحياء الاموات والكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قبل قريش قوم نوح واصحاب الرس هو بئر لم تطووهم قوم باليمامة وقبل اصحاب الاخدود وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون قومه كفوله من فرعون ملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات واخوان لوط واصحاب الأيكة سماهم اخوانه لان بينهم وبينه نسبا قريبا وقم تبع هو ملك باليمن اسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وسمى به لكثرة تبعه كل اى كل واحد منهم كذب الرسل لان من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميعهم فحق وعيد فوجب وحل وعيدى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم أفعيينا عي بالامر اذا يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار بالخلق الأول اى إنا لم نعجز عن الخلق الاول فكيف نعجز عن الثانى والاعتراف بذلك اعتراف بالاعادة بل هم في لبس في خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم وذلك تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح وهو ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر من خلق جديد بعد الموت وانما نكر الخلق الجديد ليدل على عظمة شأنه وان حق ما سمع به ان يخاف ويهتم به ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الوسوسة الصوت الخفى ووسوسة النفس ما يخطر ببال

الانسان ويهجس في ضميره من حديث النفس والباء مثلها في قوله صوت بكذا ونحن أقرب اليه المراد قرب علمه منه من حبل الوريد هو مثل في فرط القر والوريد عرق في باطن العنق والحبل العرق والاضافة للبيان كقولهم بعير سانية إذ يتلقى المتلقيان يعنى الملكين الحافظين عن اليمين وعن الشمال قعيد التلقى

ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (18) وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (19) ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (20) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (21) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (22)

التلقن بالحفظ والكتابة والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله
رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريئا ومن اجل الطوى رمانى
اى رمانى بامر كنت منه بريئا وكان والدى منه بريئا واذا منصوب باقرب لما فيه منى يقرب والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس ولا شىء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر هو غنعنه وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك الحكمة وهى مافى كتبه الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم القيامة من زيادة لطف له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات ما يلفظ من قول ما يتكلم به وما يرمى به من فيه إلا لديه رقيب حافظ عتيد حاضر ثم قيل يكتبان كل شىء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما فيه اجر او وزر وقيل ان الملكين لا يجتنبانه الا عند الغائط ولاجماع لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بقدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه هم لا قوة عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضى هو قوله وجاءت سكرة الموت اى شدته الذاهبة بالفعل ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة ذلك ما كنت عنه الاشار الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات محيد تنفرد وتهرب ونفخ في الصور يعنى نفخة

البعث ذلك يوم الوعيد اى وقت ذلك يوم الوعيد على حذف المضاف الاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد اى ملكن احدها يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه بعمله ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفة بالاضافة الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت اى يقال لها لقد كنت في غفلة من هذا النازل بك اليوم فكشفنا عنك غطاءك اى فأنزلنا غفلتك بما تشاهد فبصرك اليوم حديد جعلت الغلة كانها غطاء غطى به جسده كله او غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقا قرينه الجمهور على انه الملك الكاتب الشهيد عليه هذا اى ديوان عمله مجاهد شيطانه الذى قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا اى الذى وكلت به مالدى عتيد هذا مبتدأوما فكرة بمعنى شىء والظرف بعده وصف له وكذلك عيد وما وصفتها خبر هذا والتقدير هذا شىء ثابت

وقال قرينه هذا ما لدي عتيد (23) ألقيا في جهنم كل كفار عنيد (24) مناع للخير معتد مريب (25) الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد (26) قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد (27) قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد (28) ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد (29) يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد (30)

لدى عتيد ثم يقول الله تعالى ألقيا والخطاب للسائق والشهيد او لمالك وكان الاصل الق الق فناب القيا عن الق الق لان الفاعل كالجزء من الفعل فكانت تثنة الفاعل نائبة عن تكرار الفعل وقيل اصله القين والالف بدل من النون اجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن القين في جهنم كل كفار بالنعم والمنعم عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله معتد ظالم متخبط للحق مريب شاك في وفي دينه الذى جعل مع الله الها آخر مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فالقياة تكرير للتوكيد ولا يجوز ان يكون صفة لكفار لان النكرة لا توصف

بالموصول قال قرينه اى شيطانه الذى قرن به وهو شاهد لمجاهد وانما اخليت هذه الجملة عن الواو دون الاولى لان الاولى واجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول اعنى مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له واما هذه نهى مستأنفة كما نستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما في مقاولة موسى وفرعون فكأن الكافر قال رب هو اطغانىفقال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد اى ما اوقعته في الطغيان ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى قال لا تختصموا هو استئناف مثل قوله تعالى قال قرينه كأن قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد اى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابى على الطغيان في كتبى وعلى السنة رسلى فما تركت لكم حجة على والباء في بالوعيد مزيدة كما في قوله ولا تلقوا بايديكم او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ما يبدل القول لدى اى لا تطمعوا ان ابدل قولى ووعيدى بادخال الكفار في النار وما انا بظلام للعبيد فلا اعذب عبدا بغير ذنب وقال بظلام على لفظ المبالغة لانه من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده يوم نصب بظلام او بمضمر هو اذكر وانذر يقول نافع واو بكرى اى يقول الله لجهنم هل امتلأت وتقول تهل من مزيد وهو مصدر كالمجيد اى أنها تقول بعد امتلائها هل من مزيد اى هل تقى في موضع لم يمتلىء يعنى قد امتلأت أو أنها تستزيد وفيها موضع للمزيد وهذا على تحقيق القول من جهنم وهو غير مستنكر كانطاق الجوارح والسؤال لتوبخ الكفرة لعلمه

وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد (31) هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ (32) من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب (33) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (34) لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد (35) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص (36) إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (37) ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (38) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (39) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود (40) واستمع يوم يناد المناد من

مكان قريب (41)

تعالى بانها امتلأت أم لا وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد غير نصب على الظرف أي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالصليل والمصادر يستوى في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اى شيئا غيربعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل هذا مبتدأ وهو اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت ما توعدون صفة وبالياء مكى لكل أواب رجاع الى ذكره الله خبره حفيظ حافظ لحدوده جاء في الحديث من حافظ على اربع ركعات في اول النهار كان او ابا حفيظا من مجرور المحل بدل من اواب او رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع خشى الرحمن الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن الخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه خاش مع ان المختشى منه غائب بالغيب حال من المعفول اى خشية وهو غائب او صفة لمصدر خشى اى خشية خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب الحسن اذا اغلق الباب وارخى الستر وجاء بقلب منيب راجع الى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة ادخلوها بسلام اى سالمين من زوال النعم وحلول النقم ذلك يوم الخلود اى يوم تقدير الخلود كفوله فادخلوها خالدين اى مقدرين الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد على ما يشتهون الجمهور على انه رؤية الله تعالى بلا كيف وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن من القرون الذين كذبوا رسلهم هم اشد منهم من قومك بشطا قوة وسطوة فنقبوا فخرقوا في البلاد وطافوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم اشد منهم بشطا اى شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكةة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويدل عليه قراءة من قرأ فنقبواعلى الامر هل من محيص مهرب من الله او من الموت ان في ذلك المذكور الذكرى تذكرة وموعظة لمن كان له قلب واع لان من لا يعى قلبه فكانه لا قلب له او القى السمع أصغى الى المواعظ وهو شهيد حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في

ستة ايام وما مسنا من لغوب اعياء قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض في ستة

يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (42) إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير (43) يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير (44) نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (45)

ايام اولها الاحد واخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه في هذه الأمة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ وانكر اليهود التربيع في الجلوس وزعموا انه جلس تلك الجلسة يوم السبت فاصبر على ما يقولون اى على ما يقول اليهود وياتون به من الكفر والتشبيه او على ما يقول المشركون في امر البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وسبح بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على طاهرة او علىالصلاة فالصلاة قبل طلوع الشمس القمر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه العشا آن او التهجد وأدبار السجود التسبيح في آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات او الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وادبار حجازى وحمزة وخلف من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذاك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وقد وقف يعقوب عليه وانتصب يوم يناد المناد بما دل عليه ذلك يوم الخروج اى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور وقيل تقديره واستمع حديث يوم ينادى المنادى المنادى بالياء في الحالين مكى وسهل ويعقوب في الوصل مدنى وابو عمرو وغيرهم بغير ياء فيهما والمنادى اسرافيل في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى اقرب من الارض الى السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادى الصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به

البعث والحشر للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور إنا نحن نحى الخلق ونميت اى نميتهم في الدنيا والينا المصير اى مصيرهم يوم تشقق خفيف كوفى وابو عمرو وغيرهم بالتشديد الارض عنهم اى تتصدع الارض فتخرج الموتى من صدوعها سراعا حال من المجرور اى مسرعين ذلك حشر علينا يسير هين وتقديم الظرف يدل على الاختصاص اى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الاعلى القادر الذى لا يشغله شان عن شان نحن أعلم بما يقولون فيك وفينا تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنت عليهم بجبار كقوله بمسيطر اى

والذاريات ذروا (1) فالحاملات وقرا (2) فالجاريات يسرا (3) فالمقسمات أمرا (4) إنما توعدون لصادق (5) وإن الدين لواقع (6) والسماء ذات الحبك (7) إنكم لفي قول مختلف (8) يؤفك عنه من أفك (9) قتل الخراصون (10)

سورة الذاريات
بسم الله الرحمن الرحيم
ما انت بمسلط عليهم انما انت داع وباعث قيل هو من جبره على الامر بمعنى اجبره اي ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان نذكر بالقرآن من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينفع الا فيه والله اعلم
سورة الذاريات مكية وهى ستون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
والذاريت الرياح لانها تذر التراب وغيره وبادغام التاء في الذال حمزه ابو عمرو ذروا مصدر والعامل فيه اسم الفاعل فالحاملات السحاب لانهاتحمل المطر وقرا مفعول الحاملات فالجاريات الفلك يسرا جريا ذا يسرى اى ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرهما او تفعل التقسيم مأمورة بذلك او تتولى تقسيم امر العباد فجبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشىء السحاب وتقله وتصرفه وتجرى في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ومعنى الفاء على الاول انه اقسم

بالرياح فبالسحاب التى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعها او على الثانى انها تبتدىء في الهبوب فتذر والتراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى في الجو باسطة له فتقسم المطر ان ما توعدون جواب القسم وما موصولة او مصدرية والموعود البعث لصادق وعد صادق كعيشة راضية اى ذات رضا وان الذين الجزاء على الاعمال لوقع لكائن والسماء هذا قسم آخر ذات الحبك الطرائق الحسنة مثل ما يظهر على الماء من هبوب الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره جمع حبيكة كطريقة وطرق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها جمع حباك انكم لفى قول مختلف اى قولهم في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن سحر وشعر واساطير الاولين يؤفك عنه من افك الضمير للقرآن اوالرسول اى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف اشد منه واعظم او يصرف عنه من صرف في سابق علم الله اى علم فيما لم يزل

الذين هم في غمرة ساهون (11) يسألون أيان يوم الدين (12) يوم هم على النار يفتنون (13) ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون (14) إن المتقين في جنات وعيون (15) آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين (16) كانوا قليلا من الليل ما يهجعون (17) وبالأسحار هم يستغفرون (18) وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (19) وفي الأرض آيات للموقنين (20)

انه مأفوك عن الحق لا يرعوى ويجوز ان يكون لاضمير لما توعدون او للدين اقسم بالذاريات على ان وقوع امر القيامة حق ثم اقسم بالسماء على انهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بامر القيامة من هو المأفوك قتل لعن واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن الخراصون الكذابون المقدرون ما يصح وهم اصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسئلون فيقولون أيان يوم الدين اى متى يوم الجزاء وتقديره ايان وقوع يوم الدين لانه ابما

يقع الاحيان ظروفا للحدثان وانتصب اليوم الواقع في الجواب بفعل مضمر دل عليه السؤال اى يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة ومحله نصب بالمضمر الذى هو يقع او رفع على هو يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون ذووقوا فتنتكم اى تقول لهم خزنة النار ذوقوا اعذابكم واحراقكم بالنار هذا مبتدأ خبره الذى اى هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون في الدنيا بقولكم فائتنا بما تعدنا ثم ذكر حال المؤمنين فقال إن المتقين في جنات وعيون اى وتكون العيون وهى الانهار الجارية بحيث يرونها وتقع عليها ابصارهم لا انهم فيها آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما أعطاهم من الثواب راضين به واخذين حال من الضمير في الظرف وهو خبر ان انهم كانوا قبل ذلك قبل دخول الجنة في الدنيا محسنين قد احسنوا اعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ينامون وما مزيدة للتوكيد ويهجعون خبر كا ن والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ومصدرية والتقدير كانوا قليلا من الليل هجوعهم فيرتفع هجوعهم لكونه بدلا من الواو في كانوا لا بقليلا لانه صار موصوفا بقوله من الليل خرج من شبه الفعل وعمله باعتبار المشابهة اى كان هجوعهم قليلا من ا لليل ولا يجوز ان تكون ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا تقول زيدا ما ضربت وبالأسحار هم يستغفرون وصفهم بانهم يحيون الليل متهجدين فاذا اسحروا اخفوا في الاستغفار كأنهم اسلفوا في ليلهم الجرائم والسحر السدس الاخير من الليل وفى أموالهم حق للسائل لمن يسأل لحاجته والمحروم اى الذى يتعرض ولا يسأل حياء وفى الأرض آيات تدل على الصانع وقدرته

وفي أنفسكم أفلا تبصرون (21) وفي السماء رزقكم وما توعدون (22) فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (23) هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (24)

وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها وهى مجزأة فمن سهل ومن جبل وصلبة ورخوة وعداة وسبخة وفيها عيون منفجرة ومعادن مفننة ودواب مبثة

مختلفة الصور والاشكال متباينة الهيئات والافعال للموقنين للموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايقانا على ايقانهم وفى انفسكم في حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما نتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتانيها لما خلقت له وما سوى في الاعضاء من المفاصل للانعطاف النثني فانه اذا جسا منها شىء جاء العجز واذا استرخى اناخ الذل فتبارك الله احسن الخالقين وما قيل ان التقدير افلا تبصرون في انفسكم ضعيف لانه يقضى الى تقديم ما فى حين الاستفهام على حرف الاستفهام أفلا تبصرون تنظرون نظر من تعبر وفى السماء رزقكم اى المطر لانه سبب الافوات وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة فهى على ظهر السماء السابعة تحت العرش او اراد ان ما ترزقونه في الدنيا وما توعدوه فى العقبى كله مقدور مكتوب في السماء فورب السماء والارض انه لحق الضمير يعود الى الرزق او الى ما توعدون مثل ما انكم تنطقون بالرفع كوفى غير حفص صفة للحق اى حق مثل نطقكم وغيرهم بالنصب اى انه لحق مثل نطقكم ويجوز ان يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة وعن الاصمعى انه قال اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابى على قعود فقال من الرجل فقلت من بنى اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كالام الله قال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد وطفقت اطرف فاذا انا بمن يهتف بى بصوت رقيق فالفت فاذا انا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذى اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى حلف قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه هل اتاك تفخيم للحديث وتنبيه على انه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما

عرفه بالوحى وانتظامها بما قبلها باعتبار انه قال وفى الارض آيات وقال في آخر هذه القصة وتركنا فيها آية حديث ضيف ابراهيم الضيف للواحد والجماعة كالصوم والزور لانه في

إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (25) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (26) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (27) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم (28) فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (29) قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم (30) قال فما خطبكم أيها المرسلون (31) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (32) لنرسل عليهم حجارة من طين (33) مسومة عند ربك للمسرفين (34)

المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا - 9
الاصل مصدر ضافة وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وجعلهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين عندالله لقوله بل عباد مكرمون وقيل لانه خدمهم بنفسه واخدمهم امرأته وعجل لهم القرى إذ دخلوا عليه نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فباضمار اذكر فقالوا سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه واصله نسلم عليكم سلاما قال سلام اى عليكم سلام فهو مرفوع على الابتداء وخبر محذوف والعدول الى الرفع للدلالة على اثبات السلام كانه قد ان يحييهم باحسن مما حيوه به احذا بادب الله وهذا ايضا من ا كرامه لهم حمزة وعلى سلم والسلم السلام قوم منكرون اى انتم قوم منكرون فعرفونى من انتم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفى امره وان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه وكان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر فجاء بعجل سمين فقربه اليهم ليأكلوا منه فلم يأكلوا قال الا تأكلون انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فأوجس فاضمر منهم خيفة خوفا لان من لم ياكل طعامك لم يحفظ ذمامك عن ابن عباس رضى الله عنهما وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل فقام ولحق بامه وبشروه بغلام عليم اى يبلغ وبعلم والمبشر به

اسحق عند الجمهور فاقبلت امرأته في صرة في صيحة من صر القلم والباب قال الزجاج لاصرة شدة الصياح ههنا ومحله النصب على الحال اى فجاءت صارة وقيل فأخذت في صياح وصرتها قولها يا ويلتا فصكت جهها فلطمت ببسط يديها وقيل فضربت بأطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز فكيف الد كما قال في موضع اخر أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا قالوا كذلك مثل ذلك ذى قلنا واخبرنا به قال ربك اى انما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعدين انه هو الحكيم في فعله العليم فلا يخفى عليه شىء وروى ان جبريل قال لها حين استبعدت انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا بامر الله رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم اى فما شأنكم وما طلبتكم وفيم ارسلتم 6ايها المرسلون ارسلتم بالبشارة خاصة او لامر اخر اولهما قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين

فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (35) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (36) وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم (37) وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين (38) فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون (39) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم (40) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (41) ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم (42) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين (43) فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون (44)

للمسرفين
اريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الاجر حتى صا رفي صلابة الحجارة مسومة معلمة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به عند ربك في ملكه وسلطانه للمسرفين6 سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقتنعوا بما ابيح لهم فأخرجنا من كان فيها في القرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة من المؤمنين يعنى لوطا ومن آمن به فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين اى غير اهل بيت وفيه دليل على ان الايمان

والاسلام واحدلان الملائكة سموهم مؤمنين ومسلمين هنا وتركنا فيها في قراهم آية الذين يخافون العذاب الأليم علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هي ماء أسود منتن آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين بحجة ظاهرة وهى اليد والعصا فتولى فاعرض عن الايمان بركنه بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن ما يركن اليه الانسان من ما ل وجند وقال ساحر اى هو ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم آت بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والذلة كذلك وجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم6 هى التى لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها والاظهر انا الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا واهتلكت عاد بالدبور ما تذر من شىء اتت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم اى بلى وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك والمعنى ما تترك من شىء هبت عليه من انفسهم وانعامهم واموالهم الا اهلكته وفي ثمود آية ايضا اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فأخذتهم الصاعقة العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة على وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة وهم ينظرون لانها كانت نهارا يعاينوها

فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين (45) وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين (46) والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (47) والأرض فرشناها فنعم الماهدون (48) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (49) ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (50) ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين (51) كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (52) أتواصوا به بل هم قوم طاغون (53) فتول عنهم فما أنت بملوم (54)

فما استطاعوا من قيام اى هرب او هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانو منتصرين ممتنعين من العذاب اولم يمكنهم مقابلتنا بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة وقوم نوح اى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم نوح وبالجر ابو عمرو وعلى وحمزة اى وفى قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبدالله وفى قوم نوح من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين كافرين والسماء نصب بفعل يفسره بنيناها بأيد بقوة والايد القوة وإنا لموسعون لقادرون من الوسع هى الطاقة والموسع القوى على الانفاق او لموسعون ما بين السماء والارض والأرض فرشناها بسطناها ومهدناها وهى منصوبة بفعل مضمر اى فرشنا الارض فرشناها فعم الماهدون نحن ومن كل شىء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اى فعلنا ذلك كله من بناء السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اى فعلنا ذلك كله من بنا ءالسماء وفرش الارض وخلق الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه ففروا الى الله اى من الشرك الى الايمان بالله او من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن او مما سواه اليه إنى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين واالتكرير للتوكيد والاطالة في الوعيد ابلغ كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا او مجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما أتى الذين من قبلهم من قبل قومك من رسول الا قالوا هو ساحر او مجنون رموهم بالسحر او الجنون لجهلهم أتوا صوابه الضميرللفول اى اتواصى الاولون والاخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا اعتادا فما انت بملوم فلا لوم عليك فى اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة وذكر وعظ بالقرآن فان

وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين (55) وما خلقت الجن والإنس إلا

ليعبدون (56) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (57) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (58) فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون (59) فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون (60)

الذكرى تنفع المؤمنين بان تزيد فى عملهم وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون العبادة ان حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليلة لاسياق اعنى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من لمؤمنين وهذا لانه لا يجوز ان يخلق الذين علم منهم انهم لا يؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة واراد منهم العبادة فلا بد ان توجد منه فاذا لم يؤمنوا علم انه خلقهم لجهنم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل الا ليكونوا عباد الى والوجه ان تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة في القرآن فهى توحيد والكل يوحدونه في الآخرة لما عرف ان الكفار وكلهم مؤمنون موحدون في الآخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين نعم قد اشرك البعض في الدنيا لكن مدة الدنيا بالاضافة الى الابد اقل من يوم ومن اشترى غلاما وقال ما اششتريته الا للكتابة كان صادقا في قوله ما اشتريته الا للكتابة وان استعمله في يوم من عمره لعلم آخر ماأريد منهم من رزق ما خلقتهم ليزقوا انفسهم او واحد من عبادى وما أريد ان يطعمون قال ثعلب ان يطمعوا عبادى وهى اضافة تخصيص كفوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من اكرم مؤمنا فقد اكرمنى ومن آذى مؤمنا فقد آذانى إن الله هو الرازق ذو القوة المتين الشديد القوة والمتين بالرفع صفة لذو وقرأ الأعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار فان الذين ظلموا رسول الله بالتكذيب من اهل مكة ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم نصيبا من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة قال الزجاج الذنوب في اللغة النصيب فلا يستعجلون نزول العذاب وهذا جواب النضر واصابه حين استعجلوا العذاب فويل للذين كفروا من يومهم الذى كانوا يوعدون اى من يوم القيامة وقيل من يوم بدر ليعبدونى ان يطعمونى فلا يستعجلونى بالياء في الحالين يعقوب وافق سهل في الوصل الباقون بغير باء

والله اعلم

والطور (1) وكتاب مسطور (2) في رق منشور (3) والبيت المعمور (4) والسقف المرفوع (5) والبحر المسجور (6) إن عذاب ربك لواقع (7) ما له من دافع (8) يوم تمور السماء مورا (9) وتسير الجبال سيرا (10) فويل يومئذ للمكذبين (11) الذين هم في خوض يلعبون (12) يوم يدعون إلى نار جهنم دعا (13) هذه النار التي كنتم بها تكذبون (14) أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون (15)

سورة الطور
بسم الله ا لرحمن الرحيم
سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
والطور هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين وكتاب مسطور هو القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب او اللوح المحفوظ او التوراة في رق هو الصحيفة او الجلد الذى يكتب فيه منشور مفتوح لاختم عليه او لائح والبيت المعمور اى الضراح وهو بيت في السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روى انه يدخله كل يوم سبعون الف ملك ويخرجون ثم لا يعودون اليه ابدا وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والسقف المرفوع اى السماء او العرش والبحر المسجور المملوء او الموقد والواو الاولى للقسم والبواقى للعطف وجواب القسم إن عذاب ربك اى الذى اوعد الكفار به لواقع لنازل قال جبير بن معطم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلمه في الاسارى فلقيته في صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذا ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب ماله من دافع لا يمنعه مانع والجملة صفة لواقع اي واقع غير مدفوع والعامل في يوم لواقع اى يقع في ذلك اليوم او اذكر يوم تمور تدور كالرحى مضطربة السماء مورا وتسير الجبال سيرا في الهواء كالسحاب لانها تصير هباء منثورا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل يوم يدعون الى نار جهنم دعا

من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخافى اقفيتهم فيقال لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون في الدنيا أفسحر هذا هذا مبتدأ وسحرخبره يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفسحر هذا يريد ان هذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون كما كنت لا تبصرون في الدنيا يعنى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا